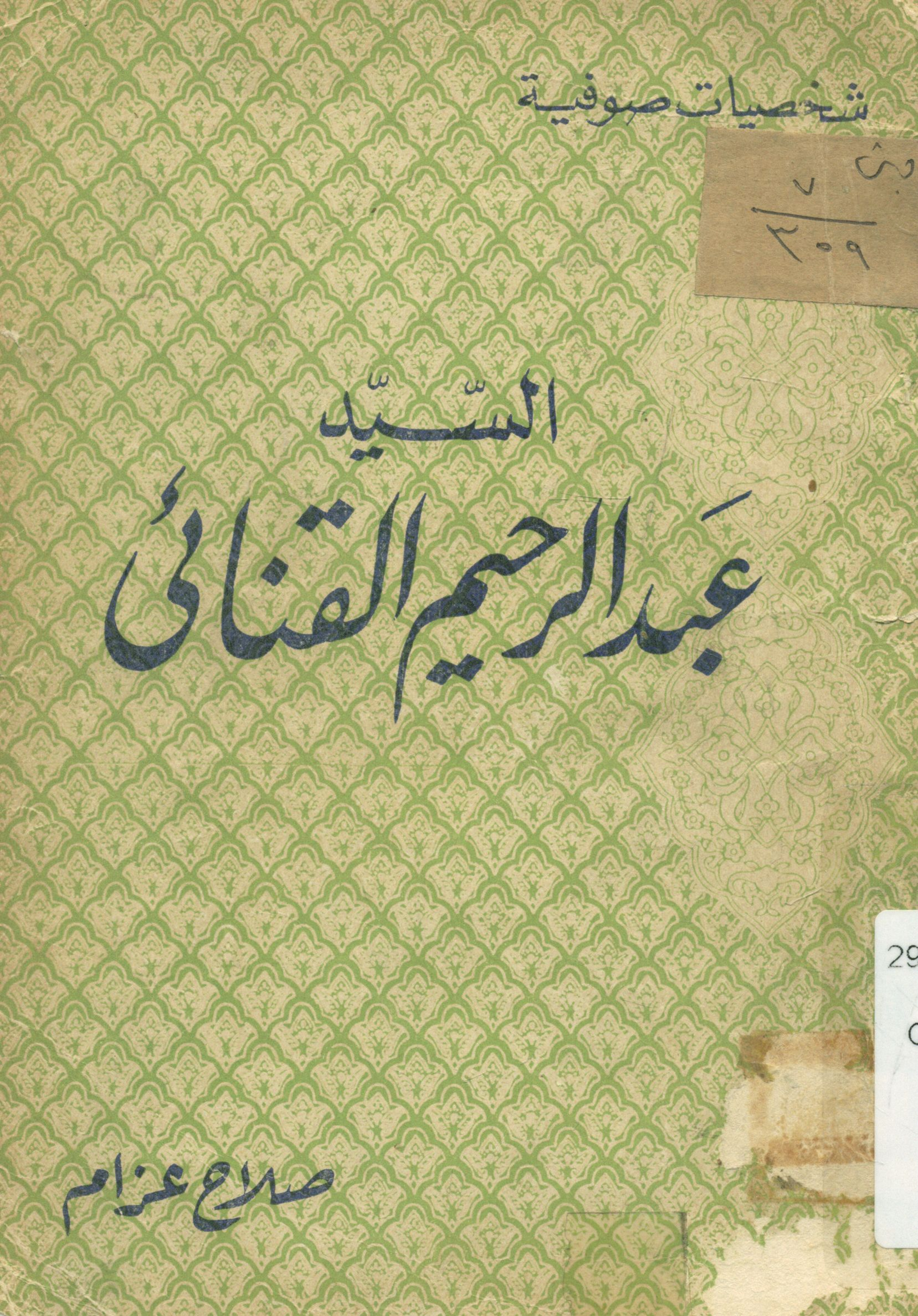


شخصيات صوفية

السّيد عبد الرحيم القنائى

صلاح عزام

شخصيات صوفية

السيّد عبد الرحيم القنائي

صلاح عزام

دار الشعب
٩٢ شارع قصر العيني بالقاهرة
تليفون ٣١٨١٠١

بسم الله الرحمن الرحيم

« أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ * لَاتَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ »

((قرآن كريم))

[... مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ]

حديث قدسي شريف



السيد عبد الرحيم القنائى .. واحد من الأقطاب المباركين الذين عاشوا فى وجدانى وسط كل الملمات .. وفوق ذلك .. فهناك أكثر من دعوة كانت تلح على فى ضرورة أن أفرد له كتابا خاصا بعد أن مضى على ما كتبت عنه أكثر من عامين .. ولم يتحرك واحد من أساتذة التاريخ أو المفكرين فى أن يعبروا هذا الطريق تأليفا وبحثا .. وكتابة .. فيتعرف المتعلمين والمثقفين على السواء بالأبطال وأصحاب الدعوات ، والمجاهدين من أجل اعلاء كلمة الحق ورفع راية لا اله الا الله محمد رسول الله .

والحت على كذلك دعوات الأصدقاء .. والذين أثبتت الأيام أصالة رجولتهم فى أن أفرد لكل ولى من الأولياء كتابا مستقلا يشبع نهمهم ويوضح لأنفسهم أسباب تفتح قلوبهم لحب الأولياء وان يكون أول كتاب عن هؤلاء المباركين الخالدين عن سيدى عبد الرحيم القنائى بالذات ..

وأنا لا أملك ازاء اشراق ايمانهم ومظاهر رجولتهم الا أن أنفذ رغباتهم .. والا أن يكون أول ما أكتب

ـ تفصيلا ـ عن سيدى عبد الرحيم .. بطل قنا .. وامام الصعيد .. وقطب زمانه ..
وبقيت في المقدمة .. كلمتان ..

أقول الأولى .. الذين تابعوا مشكورين كتاباتي .. وعاتبوني على ما أسموه حملتي على أساتذة التاريخ وكبار الباحثين المفكرين المسلمين .. بدعوى أن ما لدى من مادة تاريخية تكفي أن تخرج على الناس مؤلفات لو أنني أعملت القلم في تفسير الأحداث وتطويل الوقائع .. وشرح الشخصيات العارضة في طريق حياة من أكتب عنهم .. وأنا أقول لكل هؤلاء انني لا أفهم كتابة التاريخ كهذا الذى يقولون لأنى أضع نفسى دائما مكان القارىء وماذا يريد منى ..؟ وقارىء هذا العصر الحديث يجرى وراء الكلمة السهلة البسيطة بعد أن يسرت له الاذاعة والتليفزيون والصحافة كل هذا .. وفى الوقت نفسه لا يريد من الكاتب أن يحدثه عن الحواشى ، ويقص عليه الحواديت .. وانما يطلب من المؤلف عندما يقرأ عنوان كتاب تراجم أن يعيش مع هذه الشخصية خطى حياتها منذ الولادة الى الوفاة وما حدث لها ومنها بين المرحلتين ليس الا .. والا ضاع تاريخ الشخصية وسط هذه المتاهات .. وضاعت معها الفائدة المرجوة واهتزت أمامه معالم الشخصية التى يقرأ عنها ..

وأما الكلمة الثانية .. فى مجال الكتابة التاريخية عن الشخصيات الصوفية .. فهى تحذير للمحبين أن لا يجروا وراء تقديرهم لهذا الولى أو ذاك رضى الله عنهم .. الى حد اطلاق روايات ما .. لا يحبها هؤلاء

السادة .. ولو كانوا على قيد الحياة لرفضوا هـذه العواطف .. بل لحاربوها ..

* * *

ولا زلت أقول ما قلتـه مرارا .. أن تاريخنا فى حاجة الى مخلصين يزيحون الغبـار عن أعلامه .. ويقـدمونهم بعظمتهم .. وروعة حياتهم الى شـباب اليوم المتفتح للمعرفة .. والباحث عن الحقيقة .. والا كانت مسـئولياتهم الحسابية مضـاعفة .. أمام الأجيال .. ويوم يقوم الحساب ..

وحمدا لله ..

ودعاء الى الحق تبـارك وتعـالى بالتوفيق حتى لا نحيـد عن الخط الذى هدانا اليـه فى الكتابة عن الشخصيات الاسـلامية .. وامتـدادا لها .. أئمـة التصوف فى التاريخ فنتتبعهم منذ مولدهم الى نهـاية حياتهم .. وما خلفوه لنا من تراث وتعاليم ومفاهيم .. من غير اطالة .. ومن غير اختصار .. وأن لا نترك مصدرا من غير اطلاع عليه واستفادة منه .. ومن شاء غير ذلك ففى المراجع ما يرضيه ..

* * *

و .. لعل فى كتابى هذا عن سيدى عبـد الرحيم الذى اعتمدنا فيـه على ما سبق أن كتبناه فى أقطاب التصـوف الثـلاثة .. أول كتاب فى سلسلة نطمع فى فضل الله أن تستمر .. وتطول .. بعنوان شخصيات صوفية .. بعض ما يرضى .. وجزءا مما دعونا الله توفيقنا اليه ..

وعلم الله .. انى عشت معه ليالى طويلة .. احاول جاهدا أن أفى بحق هذا الولى المبارك أولا .. وأن أكون عند حسن ظن الأصدقاء ثانيا .. وأن أؤدى رسالتى التى وكلنا بها أمام المحبين ثالثا ..

***

وعلى الله قصد السبيل .

صلاح عزام

مصر الجديدة فى جمادى الأولى ١٣٩٠

يوليو ١٩٧٠

حيـاته

وسيدى عبد الرحيم القنائى ..

واحد من الذين رفعوا راية لا اله الا الله محمد رسول الله فوق الأرض .. وعلم الناس ، وعرفهم أصول دينهم ، وأنار لهم طريق الوصول الى الله سبحانه وتعالى ..

وقبل كل شيء .. يقول سيدى عبد الرحيم عن سبب تسميته [كان اسمى الذى سميت به أسدا بلغة قبيلتنا بالمغرب فلما فتح لى وعاينت وصف الرحمة سميت نفسى عبد الرحيم طمعا فيما عاينت]

ولم يولد الشيخ عبد الرحيم فى قنا .. وانما ولد فى بلدة ترغاى من مقاطعة سبتا فى المغرب الأقصى أول شعبان سنة ٥٢١ هـ ـ ١١٢٧ م .. وكانت حياته الأولى مقدرة على أن يتعلم القرآن الكريم ويحفظ الأحاديث الشريفة .. ويتولى الدرس من بعد أبيه فى المسجد الكبير ببلده . ولذا فلم يكد يبلغ الثامنة من عمره حتى كان قد حفظ القرآن وجوده تلاوة .. وفهما .. وحضر حلقات الدرس على كبار العلماء فى ترغاى ..

واستمر رضى الله عنه يتلقى العلوم الدينية متأثرا بمذهب الامام مالك .. وعندما بلغ من العمر اثنتا عشر عاما توفى والده .. وكان هذا الأمر أول صدمة تهز حياة القنائى .. فقد تأثر لوفاة والده تأثرا بالغا اذ كان يحبه حبا كان مضرب أمثال الآباء والأبناء يومذاك .. ولم يستطع القنائى مغالبة هذا الخوف حتى أنه وقع صريعا لمرض شديد حار فيه الأطباء ولم يصلح معه أى دواء .. الى أن اشار بعضهم على والدته بارساله فى سفر بعيد فلعل فى تركه للبلد التى فقد فيها والده عزاء عما يعانى ... واستجابت الوالدة لهذا الرأى

وأرسلته الى أخواله بدمشق .. وليزداد علما .. ويأخذ من علوم المشارقة بعد أن عرف الكثير من معارف المغاربة .

وفي دمشق ..

استرد الشيخ عبد الرحيم قواه .. وحضر جلسات العلم .. وتعرف على كبار العلماء .. وبهر الجميع بذكائه الخارق ، ونبوغه ، وسرعة حفظه وميله الكبير الى التصوف واستيعابه وتعرفه على جميع مدارسه ..

واستمر القنائي في دمشق يتعلم ، ويقرأ ، ويبحث ثماني سنوات الى أن بلغ العشرين من عمره فطلب منه علماء دمشق أن يجلس في حلقات العلم مدرسا لا مستمعا .. والحوا عليه في ذلك كثيرا .. ولكنه رفض حياء من الله وأدبا .. وهو الذى يعرف قدر علماء دمشق يومذاك ومكانتهم .. فكلموا في هذا أخواله الذين حدثوه في ذلك .. ولكنه أصر على الرفض وفكر في العودة الى بلده ..

وذات يوم ..

شاهدت ترغاى ابن شيخها موجودا بينهم .. صورة رائعة للرجولة والعلم .. ونموذجا فريدا في الخلق الاسلامي .. وليجد هو مكان والده شاغرا لم يشغله أحد من بعده .. لأن جميع علماء ترغاى رفضوا أن يتولوا بعده مكانه .. على أساس أن ليس بينهم من يستحق هذه المكانة أو يقدر على سد فراغها .. لذا فلم يكد أهل ترغاى وعلماؤها يرون الشيخ عبد الرحيم ابن شيخهم ويعرفون أخباره التي سبقته حتى يجتمعون ويطلبون منه أن يأخذ مكان أبيه ..

ورفض .. وأصروا .. وكان لهم ما يطلبون ..

وجلس الى حلقة العلم ولأول مرة معلما ، واعظا .. وحضر

كل أهل ترغاى ليروا ابن شيخهم الذى جاء من دمشق ، وليستمعوا الى ابن معلمهم وقد جمع بين ثقافتى المغرب والمشرق وليروا اثر ذلك مع ابن العشرين .. وامتلأ المسجد بهم حتى لم يعد فيه مكان لقادم اذ حضره كل من بلغه الخبر من أهل ترغاى ومن المناطق المجاورة ..

وكان يوما مشهودا .. وتكلم الشيخ عبد الرحيم .. وتحدث اليهم عن الدين وما يمر بالمسلمين وواجبات المسلم نحو ربه ومجتمعه حتى أبكى الحاضرين تأثرا واعجابا .. وانتهى الدرس .. لتبدأ حلقات علم الشيخ ولتأخذ الوفود طريقها الى ترغاى لتسمع الشيخ الصغير وتتعلم منه بعد أن تناقل القوم فى منطقة سبته اخبار حلقات علم الشيخ عبد الرحيم ..

ومن يومها أصبح لترغاى اسم فى كل منطقة سبتا وما حولها ..

ولكن .. الزمن لم يترك الشيخ الصغير فى آماله وعمله .. وكأن ارادة الله تشده الى مستقبل آخر لا يعرفه الا هو تبارك وتعالى .. فلم تكد تمضى به الحياة خمس سنوات حتى كان العالم الاسلامى يموج بحركات عنيفة فى الداخل .. وهجوم مستمر عليه من الخارج .. وحصيلة هذا كله حرب على الدين الاسلامى .. وخسائر جسيمة للمجتمع الاسلامى ..

وأحس الشيخ عبد الرحيم أن مسئوليته تتضاعف أمام الله .. فهو كرجل علم محمدى .. واجب عليه أن يقف ضد كل حرب يراد بها الاسلام فى الداخل أو الخارج .. وأن لا يكتفى بهذه الجلسات وسط هذا الحشد من بنى ترغاى ومن يجاورها فقرر أن يذهب الى المشرق ليكون واحدا من جند الله يدافع عن دينه ويقف ضد كل التيارات الفكرية المخربة فى المجتمع الاسلامى ..

وأثناء ذلك ماتت والدته ..

وأحس الشيخ أنه لم يعد له فى ترغاى من يشده اليها فلم يكن قد تزوج .. ولم يذكر لنا التاريخ أن له اخوة هناك يتحتم عليه السعى من اجل تربيتهم .. ووجد أن كل الظروف تدعوه الى الاتجاه وفورا الى المشرق ليتخذ مكانه بين المجاهدين والعلماء المناضلين ..

وبدأت رحلته المباركة ..

وكان عليه أن يتجه الى الحجاز وقبل أن يحدد القطر الذى سوف يستقر فيه وذلك لأكثر من سبب منها .. أن يؤدى فريضة الحج حيث لم يقدر له اداءها اثناء مقامه فى دمشق .. وليلتقى هناك فى موسم الحج بعلماء المسلمين ومنهم يتعرف على جوانب مشاكل العالم الاسلامى .. ثم ليتباحث معهم فى مشاكل دينهم ومشاكل أمتهم .. وبعدها يرى الى أين يوجهه المولى عز وجل ..

واتخذ الشيخ عبد الرحيم طريقه الى الحجاز عبر الاسكندرية ومارا بالقاهرة .. وأقام فى كل منهما فترة التقى بعلمائهما .. وهنا رأى فى مصر ما لم يره فى المرة الأولى وهو فى طريقه الى أخواله بالشام وبقلب أكثر تفتحا ..

ووصل الى مكة المكرمة وصورة مصر فى مخيلته .. وأدى فريضة الحج .. ثم أحب التنقل بينها وبين المدينة يتاجر بعض الوقت ليكتسب قوته وليعكف بعد ذلك على العبادة والعلم والتدارس مع علماء مكة والمدينة حينما يكون باحداهما .. ويظل مجاورا للبيت الحرام أو المسجد النبوى الشريف بعد هذا مفكرا ومستهديا ..

واستمر الشيخ عبد الرحيم على هذه الحال تسع سنوات .. وحيدا .. عابدا .. متعلما .. لأن المسئولية التى يريدها لنفسه

تحتاج الى مزيد من التروى .. ومزيد من العلم ولا بد لهذا كله من زاد وتقوى ..

وجاء موسم الحج العاشر من بعد وصوله الى مكة والتقى فيه باحد الأتقياء القادمين من قوص مصر وهو الشيخ مجد الدين القشيرى ودار بينهما حديث عن التصوف والاسلام واقسم القشيرى على عبد الرحيم أن يصحبه الى مصر ، والى قوص وقنا بالذات فأهلها فى حاجة اليه والى علمه .. وما زال الشيخ يحاور ويدلل على حججه وعلى أن عبد الرحيم ليس له ما يربطه بمكة والمدينة احدا أو شيئا .. وان واجبه الاسلامى يدعوه الى الاقامة فى قوص أو قنا ليرفع راية الاسلام ، وليعلم المسلمين أصول دينهم ، وليجعل منهم دعاة للحق ، وجنودا لدين الله .. وخاصة أن المسيحية بدات تغزو صعيد مصر بصورة تهدد اسلاميته .. وتوصلت الى ان اتخذت من بعض مدنه مراكز تبشير لها .. وضرب لذلك مثلا بمدينة الأقصر وطال بينهما الحديث .. واخيرا اتفقا على الرحيل والصحبة بعد أداء فريضة الحج .

وجاء عبد الرحيم الى قوص بصحبة الشيخ مجد الدين القشيرى الذى كان يعمل اماما لمسجدها العمرى يلقى الدروس على الراغبين فى العلم من الطلاب والأهالى على السواء .

ولكن عبد الرحيم لم يقض بقوص أكثر من ثلاث ليال احس خلالها برغبة شديدة على اثر رؤى عديدة فى أن يرحل ويقيم بقنا ، فانها مركز دعوته ، وعلمه ، ولأن قوص ــ وقد كانت احدى مراكز العلم الاسلامى ــ ليست فى احتياج قنا اليه بما فيها من علماء وأهل دين .

وفى اليوم الثالث كان عبد الرحيم فى طريقه الى قنا ، وهناك التقى بالشيخ القرشى أحد كبار الأولياء .. وتصاحبا ، وتزاملا .. ثم اعتكف عامين كاملين يدرس ، ويتعرف ، ويتعبد ، ويعمل بالتجارة حتى لا ينفق أحد عليه ..

وخلال هذه الفترة صدر قرار من والى مصر بتعيين الشيخ عبد الرحيم شيخا لقنا ، وأصبح من ذلك اليوم يسمى بالقنائى .. وتزوج بابنة الشيخ القشيرى وبثلاثة أخريات بعد وفاتها أنجب منهن تسعة عشر ولدا وبنتا هم محمد كمال الدين ـ جمال الدين ـ شهاب الدين ـ الحسن ـ علاء الدين ـ الكامل علم الدين محمود ـ شمس الدين ـ اغرازه ـ عزيزة ـ رحيمة ـ مباركة وزهية ..

واتخذ الشيخ عبد الرحيم لنفسه برنامجا لا يحيد عنه طوال حياته .. يعمل بالتجارة حتى لا يحتاج لمونة أحد وحتى يستطيع هو ان ينفق على فقراء الطلاب الراغبين فى العلم ويقوم بمعاونة غير القادرين من أبناء المسلمين ، ومن أجل هذا اتسعت تجارته وكانت تدر عليه ربحا عظيما .. وبعدها يعتكف للعبادة فترات طويلة من النهار والليل وما بين هذا وذاك كان لقاؤه فى حلقة العلم بالمكان الذى به مزاره ومسجده فى قنا .. وحيث يجتمع بكل الوافدين من كل مكان يستمعون له ويتدارسون معه ، ويتتلمذون عليه .

واصبح لسيدى عبد الرحيم القنائى مدرسة كبيرة طار صيتها فى العالم الاسلامى وحتى دعت الكثيرين من العلماء وراغبى العلم أن يفدوا اليها من كل مكان سواء من مصر .. أو من خارجها .. ليلتقوا بسيدى عبد الرحيم .. ويتناقشوا معه العلم .. ويتعلموا منه ..

و .. ليكتب فى التاريخ الاسلامى سطور علم مدرسة فريدة فى نوعها .. واستاذها ..

مقدمة

ومدرسة سيدى عبد الرحيم .. مدرسة كاملة من العلم الصوفى المحمدى .. ولذلك لا يمكن أن نطلق عليه ــ رضى الله عنه ــ شيخ طريقة اذ أنه لم يحصر نفسه بين طائفة معينة من الناس يحدد لهم منهج عبادتهم .. الخ .. ولكنه كان يرى أن له وضعا خاصا فى مجتمع اسلامى صغير بالصعيد .. ومجتمع اسلامى على المستوى العالمى من خلال من يلتقى بهم من علماء المسلمين ومتصوفيهم .. وان كان البعض قد اتخذ طريقة تنسب الى القنائى بعد وفاته على أساس أن العلوم التى أورثها سيدى عبد الرحيم تلاميذه وأسرته لا تقل فى المرتبة والتنظيم عن منهاج الطرق الأخرى .. ولكنا آثرنا ــ مع اتفاقنا فى بعض الجوانب مع الرأى الذى ذهب الى اتخاذ القنائى مؤسس طريقة ــ أن نطلق على تعاليم القنائى مدرسة .. فهى تسمح للجميع بالأخذ منها من غير الخروج على طريقته .. أو التقيد بهذه الطريقة .. و .. لأنها لا تقل فوق ذلك عن أى مدرسة فكرية اسلامية .. تصوفية .. ظهرت فى تاريخنا كمدرسة الامام الغزالى وغيره ..

و .. لنتابع معالم هذه المدرسة .. وبعض نماذج من علوم ودروس وكلمات الشيخ القنائى رضى الله عنه .

* * *

وسيدى عبد الرحيم كانت له نظرية يعلمها أبناءه ، وتلاميذه .. الجدد باستمرار يقول لهم (الدين الاسلامى .. دين علم .. وعمل وأخلاق .. فمن ترك واحدة فقد ضل الطريق ..)

وكان يشرح دائما هذه النظرية فى كتاباته وكان يهتم رضى الله عنه دائما بالحديث عن العلم .. ويفرد له الصفحات الطوال فى

كتاباته .. ايمانا منه بأن العلم دعوة سماوية ومتممة للعمل ».

ومما كان يقوله عن العلم .. ان مصدره أحاسيس مرتبطة بين العقل والارادة ينتج منها الانتاج الفكرى سواء كان جديدا من بيانه وأبوابه . أو مرتلا خزينة أسرار مجلس الانتاج الفكرى ـ الذاكرة ـ و .. العلم .. علم الواقع والعلم الطبيعى .. فالأول حس ظاهرى .. والثانى تحوطه المعرفة وهو ما يتبصره الانسان وينظر بها ظاهر الأشياء وأسبابها الخفية .

والأخير .. العلم الطبيعى .. يرتبط ارتباطا وثيقا بالدين وهو الذى يجر صاحبه الى البحث والتنقيب وراء خالق الكون ويدفعه الى التعمق الى ما وراء ذلك من أمور تسيطر على النفس فتجر صاحبها الى كلام الله وأقوال الرسل والرضوخ جسمانيا وروحيا فى حلقة من حلقات النور الالاهى الذى يوهب لمن اتقى وسار فى الطريق مجاهدا بنفسه ليبلغ المرتبة العليا من هذا العلم أو أسمى حقائق الدين وبه أخذ التصوف بل هو التصوف نفسه .

و .. العلم .. أصل العقائد الدينية مدللا على ذلك بقوله تعالى (شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم) وقوله تبارك وتعالى (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) .. وحديث ترويه السيدة عائشة عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (طلب العلم عند الله افضل من الصلاة والصيام والحج والعمرة والجهاد فى سبيل الله) .

* * *

وعن العمل .. وكان السيد عبد الرحيم يدعو كل من يأتى الى حلقة علمه باتخاذ حرفة .. والى المزيد من العمل لمن يعمل الى جانب العلم .. فهو ضرورة لا يكتفى منها بما يسد الرمق .. بل وباستغلال كل طاقة الانسان .. من أجل الخير له .. وللناس ممن

حوله .. وللحياة التى خلقها الله لنا .. ثم لتظهر نعمة الله التى أعطاها لنا يقودها العقل الذى أودعه الله سبحانه وتعالى أمانة كبرى عند الانسان .. ولذلك كان رضى الله عنه يبدأ عظاته فى كثير من الأحايين بقوله تعالى (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله). وكان يقول تفسيرا فى بعض جلساته ان (هذه الآية تحلى بها الرجل الصوفى قلبا وقالبا فأصبح بها فى مقام الخوف .. وانها الطريق الموصل الى رضاء الرحمن عليه وما يرضى به الرسول) ..

ومن راح الى غير عمل بعلم وأخلاق فهو تحت حكم ما قاله الله تعالى « قل كل يعمل على شاكلته . فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا » .

وقال السيد عبد الرحيم مرة أخرى أن النبى صلى الله عليه وسلم تصوف قبل الرسالة بغار حراء فانقطع عن الدنيا الا ما يقيم صلبه ولم يمنعه هذا من أن يعمل قبل الرسالة وبعدها عمل ، عمل أهل الأرض ليقيم المساواة والعدالة لرسالة سوف تلقى عليه من ربه فلما أوتيها أقر الله العلم والعمل بآية نزلت على سيدنا رسول الله بقوله تعالى « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » ..

* * *

ومن الموضوعات التى تحدث عنها بكثرة القنائى .. التفرقة بين **الروح والنفس** وضرورة الفصل بينهما ..

فقال عن الروح .. انها أعلى فى الجوهر من النفس لاتصالها بخالقها فهو الذى يعلم وحده ماهيتها وتكوينها وايداعها وقد جعلها الله سرا عنده لاتصالها بالذات القدسية (ونفخنا فيه من روحنا) .

.. أما النفس فهى الحالة فى الجسد تستمد كيان حياتها من وجود الروح بينها وبين الجسد .

.. والحبل الموصل بين الروح والنفس هو هذا الشهيق

والزفير .. فاذا ما صعدت الروح بطل عمل التنفس وانسدت الطرق الموصلة للتيار الهوائى وانقطع هذا الحبل فيموت الجسد معها .

و .. ان النفس هى التى تسيطر على كافة الأعضاء وتعمل بواسطتها ادراكا وحسا ومعنى وقولا وحركة مع الاتصال بالروح .

ولذلك فالروح باقية برجوعها الى ربها .. والنفس هى التى تذوب مع الجسد كما يعلمنا الله تعالى (وتزهق انفسهم) .

و .. ان الروح مؤمنة ولا تتطلب الا الخير ، ولا تعترف الا بمن أرسلها فهى قوام الخير فى البدن والمرشدة الى صراط الله العزيز الحكيم ..

و .. اما النفس فهى مبعث الأهواء والشر والنزعات والوساوس والقيادة اما الى اتباع الروح فيضاء لها الطريق .. أو ترك لذاتها فتقع فى المهالك مستشهدا بقوله تعالى (ان النفس لأمارة بالسوء ..)

وذكر السيد عبد الرحيم للنفس أسماء وصفات كثيرة فيما كتب وروى آخذا مسمياته مما جاء فى كتاب الله عز وجل ..

فقال ..

ان النفس الراضية هى التى فى درجة الإتصال بالروح مستديمة ..

والنفس المرضية هى مقام الاستنارة ..

والنفس اللوامة هى التى فى مقام الاطلاع ..

والنفس الأمارة هى التى فى مقام الظلم والظلمات .

* * *

وقال القنائى آراء جديدة لم يسبقه اليها احد من قبل فى معانى

التصوف ومفاهيمه ايمانا منه أن التصوف أهم أركان الأخلاق (فالتصوف ليس ركنا من أركان الاسلام ولكنه ركن من أركان الأخلاق) .

والأخلاق الحسنة تجر صاحبها الى الحسن والكمال . والكمال كله فى القرآن . وفى ذات رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى اتباع الدين مؤكدا تفسيراته هذه بقوله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) و ... (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه) و .. (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) .

وقال رضى الله عنه فى التصوف ـ أيضا ـ (انه ليس القعود عن العمل أو فعل لهذه الأعمال المنكرة والمبتدعة فى الدين فذكر الله يجب أن يفعله عاقل بادراك فان لم يجده سقط عنه حق العبادة وأصبح مجنونا . ان كان حقيقة فى درجة الجنون . أما اذا كان نفاقا فهو مطالب بالاقلاع عن البدعة حتى يثوب ويرجع الى ربه) .

ومن اجل ذلك حرص القنائى على ذكر الأخلاق كثيرا ودعا اليها على اعتبار انها مفتاح كل الأعمال الطيبة والهداية والطريق الموصل الى معرفة كتاب الله وسنة رسوله وقال فيها تعاريف ومعانى جديدة ومن ذلك (ان الأخلاق تنبع من مزيج من العلم الظاهر والباطن والعمل المنتج المستنير تطويه الروح فترسله الى النفس الأمارة فتغسلها من أدرانها وبهذا يحصل العقل على الادراك الصحيح والمعرفة فيخلص البدن فيتجه الكل الى الله والى كلام رسول الله وهذه تسمى الأخلاق الراكية وهى أعلى درجات الكمال وبها اتصف النبى صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى « وانك لعلى خلق عظيم ») .

ويؤكد السيد عبد الرحيم قوله عن الأخلاق بأنها نعمة الله لخلقه بتفسير جديد لقول الله تبارك وتعالى (اليوم أكملت لكم دينكم

وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) فى أن النعمة المقصودة انما هى الأخلاق الحسنة لأن الدين لم يكن ناقصا ولكن معنى اكملت لكم دينكم برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم آخر الأنبياء والرسل وبه كمل الدين .. بالرسول .. ثم ارتضى تبارك وتعالى الاسلام دينا .. وهو الدعوة المحمدية .. التى وصل للناس نورها .. هداية وتبصرة وقوة وايمانا .. ومعرفة .. وعزة .. وجاها . وعلما . وعملا . واخلاقا .. « كنتم خير امة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر .. » .

كلمات ونصائح

ومع هذه الآراء .. هنـاك عديد من الكلمات المضـيئة .. والنصائح الرائعة التي ينقلها لنا المؤرخون عن سيدى عبد الرحيم .. ومنها ..

« رأس الايمان الصـدق ، ومن لم يحفظ جوارحه وحواسه عما نهى عنه فليس بصادق »

و .. « عليكم بالكرم فانه شجرة الايمان والأمان .. واياكم والشح فانه شجرة الحرمان والخذلان .. »

و .. « أصحاب السوء معرة فى الدنيا ووبال فى الآخرة .. »

و .. « وجدنا الدنيا كلها ظلمة ليس فيها طريق الا العلم .. »

و .. « لا فائدة فى هلاك المدعو عليه للداعى .. ويقول للداعى .. أنت اذا آذيت غيرك أتحب أن يدعو عليك فكذلك غيرك لا ينبغى أن تدعو عليه .. »

و .. « اللهم ارزقنا رزقا لا تعذبنا عليه .. »

و .. « الموحد من عرف الواحد فاستـراح واعتمـد فى كل الأحوال عليه .. »

و .. « الكرم شجرة طابت أصولها وعذب محصولها وحمد عقباها .. »

و .. « من زهد فى شهواته شاهد فى خلواته .. »

و .. « الصـــدق مركب السـلامة والكذب مركب العطب والخلاص فى الإخلاص .. »

خمسة دروس

ورغم كل ما سبق فحتى يكون بين أيدينا صورة واضحة لهذا الداعية المحمدى رضي الله عنه فانني أنقل بعض دروسه .. وهناك الكثير منها متناثر بين كتب المتصوفة .. وما تركه هو من كتب .. وقد عن لى أن اختار خمسة دروس فقط .. ولم أجد مخرجا من حيرة الاختيار الا أن تكون هذه الدروس مما قيل فى شهر الصوم المبارك .. وأن تكون مما ألقيت فى الجموع وفى مسجده رضى الله عنه وبين تلاميذه .. وقصدى هنا أمران :

الأول .. أن يتعرف المتصوفة ومحبى القنائى على طريقة عمل هذا الولى فى مجال الدعوة .. وبالتالى مزيد من الاستزادة بعلومه .. ومزيد من التعرف على مدى ثقافته ومعارفه ..

والثانى .. أن تكون هذه الدروس .. نماذج ومناهج .. الدروس واحاديث العلماء والصالحين ..

و .. لنتابع معا هذه الدروس الرمضانية ..

— ١ —

يوم ٢٠ رمضان ٥٨٧ هـ .

قال الشيخ عبد الرحيم القنائى ..

بسم الله الرحمن الرحيم . نعوذ بالله من شرور أفكارنا وشرور أبصارنا وشرور اسماعنا وشرور ألسنتنا وشرور جوارحنا ومن الشر الذى يأتى الينا . ونسلم لله مقاليد أمورنا ليتصرف فيها برحمته وفضله وعفوه وجوده وكرمه سائلين الله من ضعفنا قوة ومن عدمنا بقاء فى رحمته حتى نستكمل العمل الذى يرضيه ليرضى به عنا ويتقبله خالصا لوجهه الكريم واصلى واسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد .

وقفنا فى الشرح امس عند الباب الثانى من دعائم الاسلام . الا وهو العمل . قال الله جل شانه (بسم الله الرحمن الرحيم . وما تكون فى شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين) . وقد اختتمنا درس أمس بالآية الكريمة (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا) .

يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم . صلوا على رسول الله . الأمة الاسلامية خير الأمم جميعا بدليل القرآن الكريم (كنتم خير أمة أخرجت للناس) وذلك لأنها أمة كفاح وعمل وأمة أمر بالمعروف ونهى عن المنكر وامة هذا شأنها كفيلة أن تنجح وكفيلة أن تخط لنفسها طريقا فى ميدان هذه الدنيا لتستفيد وتفيد . والله جل شأنه يقول لصفوة خلقه ورسله وانبيائه سيدنا محمد صلى الله

عليه وسلم (وما تكون فى شأن) أى شأن أنت فيه يا رسول الله كل شأن هو عمل وكل عمل هو شأن فى شئون ومن شئون الحياة الدنيا التى تعمل فيها وان مدرسة العمل ليست ضيقة المبانى أو قليلة الاتساع ولكنها كبيرة متسعة لا حد لها ولا يحددها الا كسلان غارق فى ملاذ الحياة ولهوها ».

ولكن الذين أوتوا الدين الاسلامى فدرسوه واتبعوه وتعمقوا فى أوديته وساروا فى دروبه بالعلم متفقهين لأبوابه لا شك أنهم واصلون الى العمل المنتج المثمر الذى يعود عليهم بنفع ذاتى وعائلى واجتماعى فى الحياة الدنيا وفى الحياة الآخرى ».

واصحاب الأعمال الناجحة نادرون وليس معنى هذا أن يرى الانسان نفسه عظيما فيأبى أن يعمل فى تجارة لأنه يراها أقل بكثير من عظمته وجاهه وها هو نبينا صلى الله عليه وسلم كان نبيا أو فى دمه النبوة سوف تصل اليه قبل أن يرسل قد عمل راعيا للغنم بالأجر وعمل تاجرا بالأجر ثم جاءت النبوة له فحمل الحطب مع أصحابه ليعد طعاما ولهذا فان الحرفة لا تحط من شأن الرجل بل الرجل هو الذى يحط شأن الحرفة .

والانسان يعمل بجسده وعقله وبهذا يكون ناجحا مكرما وعلى شرط أن يكون هذا العمل مما يصل به العبد الى ربه فيرضى عنه ويباركه وكل عمل كان بالجسد دون عقل فهو عمل باطل وكل عقل يعمل بدون الجسد أى يترك الأمر لغيره فهو مفرط فى ثروة ومبذر فى مال . لأن العمل بالجسد والعقل هو المال وخزائنه .

والعمل أصل نجاح العباد وعمران البلاد ولا مصيبة على الانسان أشد من أن يتمتع بكل مطالبه وتصل اليه جميع مآربه بدون كد أو تعب . والأمة ليس من بين شعبها ميل الى العمل والكد والكدح يجب حذفها من بين الأمم ووجب عزلها لأنها أمة مريضة ».

(يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه) ملاقيه بما فعلت وقدمت وتركت .

فكل الأعمال المبنية على مبادىء صحيحة لأغراض حميدة لا بد أن تنجح وتنتج نتائج محمودة هذا فضلا عن انها ترقى شأن الانسان وتصلح من عاداته وصفاته وتحرك همة غيره للاقتداء به وليس على الكل أن ينجحوا فى كل الأعمال سويا ولكن كل على قدر اجتهاده واستحقاقه ولهذا فان ما ورد فى آية الكدح كان له معنى كبيرا جدا اذ انه لا يناسب البشر أن تكون طرقهم سهلة ميسورة بل الأحسن والاجدر أن يكون الانسان مضطرا أن يعمل بالكدح وأن يعيش فى دوامة العمل المستمر من أن يرى رزقه سهلا ميسورا ومهده لينا طريا .

وبالتجارب ثبت أن الذين يدخلون معركة الحياة وزادهم قليل يكونون أكثر رغبة من غيرهم فى الاقبال على الأعمال حتى ان ذلك عد شرطا لازما للنجاح فى الأعمال . ويجب أن يفهم كل الناس أن الأعمال كلها تؤدى الى اعمال الآخرة وثوابها ما دام العمل فيها يرضى الله فليس معنى هذا ان الصلاة والصيام والعبادات هى وحدها التى نسميها أعمال الآخرة وعليها الجزاء والمحاسبة . لا . بل ان رجلا يقوم بماله وقدراته ليقيم مصنعا يستوعب مئات من الراغبين فى العمل ثم ينقدهم أجرهم فهذا عمل يؤدى حتما الى الجزاء الحسن فى الآخرة بل هو عمل من أعمال الآخرة ومن لم يتعلم صناعة ولا عملا فهو حقير .

والامام عمر بن الخطاب يقول : (انى لأرى الرجل فيعجبنى فأقول اله حرفة فان قالوا لا سقط من عينى) . . هناك الكثير من الناس ينسبون فشلهم فى حياة العمل الى الزمن والزمن برىء منهم ومن معتقداتهم وهؤلاء هم المتشائمون الذين يحصدون ثمر اهمالهم وعدم اهتمامهم بحياتهم والسعى فيها ولها كما أمر الله .

والآية الكريمة التى ذكرناها فى موضوع الدرس هى آية واحدة من كثير فى كتاب الله قد جمعت الوصايا والاتجاهات العقلية والنفسية والجسمانية تحض على العمل الذهنى والجسمانى (وما تكون فى شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل) فكل ذلك عمل وعمل منتج مثمر دنيا وأخرى وكفى أن الله هو الشاهد عليه حتى تسلك به مسلك الاتقان فى كل أعمالك وتلبس لباس الجد فيه وتشمر عن ساعدك فيزيد ربحك الدنيوى والاخروى (اذ تفيضون فيه).

والأحسن للانسان أن يقوم بعمل واحد دقيق يدركه من أن يأتى بأعمال متعددة يكسوها عدم الاتقان والكثير لا يشعر بهذا الضرر بل لا يعيره اهتماما ومن لم يكن مدققا فى عمله فهو غير أمين عليه .

والمحافظة على أوقات العمل هى من أهم مميزات نجاح الأعمال فالرجل الذى يخرج الى عمله صباحا فى الساعة المبكرة ويبدأ دورته فيه ويجعل من هذا الموعد الميزان الدافع لاستكمال عمله هو فى الحقيقة الرجل الأمين الناجح وليعلم الناس أن الوقت هو المال هو الذهب هو الفضة هو الثراء فكم من ساعات تضيع على ابن آدم وهو يجلس فى مجالس المسامرة وبذلك تضيع عليه أرزاقه والتى لم يحسب لها الحساب ولهذا فانا لا اقبل فى مجلسى كما عرفتم الا الرجل المتزوج العاصم لدينه والذى له عمل يتكسب منه قوته وقوت من يعول .

والزوجة اساس دفع الرجل لأن يعمل والا لو كانت كل الدنيا السماء لعلوم لبطل حال الدنيا وذهب بهاؤها وكثر فقرها ولكن وجب على كل انسان أن يخصص وقتا لزيادة معرفته ثم وقتا آخر للعمل والتكسب ويجب أيضا أن يجعل الانسان الراحة بعد العمل لا قبله فان الراحة قبل العمل يسورها الشيطان فيصاب الانسان بالعجز والكسل .

والكسل موجب للخيبة واذا اعتاد الانسان هذه الحالة سعت اليه البطالة وتملكته هذه الخصلة فتقيده بسلاسل الكسل والفشل والخذلان وكلها من صفات الفقر . وكل شيء يمكن استرداده اذا ثابر الانسان عليه وعمل باجتهاده فمثلا المال يسترد بالاجتهاد ، والعلم يسترد بالاستذكار والدرس . والصحة تسترد بالدواء والاستشفاء .

واما من ضيع وقته فلا يستطيع أن يسترده ابدا ومهما أوتى من قوة . فالزمن الذى يمضى لا يعود . . لا يعود فى الأجل . ولا يعود فى العمل ، ولا يعود فى الرزق والطاعة لله .

ولذلك من لا يهتم بالوقت لا يهتم بالعمل ولا يستحق أن يؤتمن عليه .

ومن طباع ابن آدم صفات متممة ومحسنة للعمل فسرعة البديهة والثبات ضروريان لكل انسان ولا سيما للذين يشغلون المناصب الكبرى ويديرون الأعمال الهامة الشاقة فقائد الجيش مثلا وجب أن يكون سريع البديهة والخاطر متشبثا ثابتا ولا يكفى أن يكون القائد قد حمل معه من صفات البطولة وانه كان محنكا ، ولهذا فان القائد الحكيم هو القادر على تدبير أمر جيشه من كافة الوجوه فى الأكل والطعام والراحة والعتاد والسلاح والقيام بالواجب مع الاعتناء بكل فرد من جنوده وفى أقل وقت وأسرع خاطر .

ومن أهم الأمور المؤدية لنجاح الأعمال الأمانة ومن كانت هذه خلته وتلك صفته اشتهر اسمه بين الناس ودر عليه الرزق بسبب الأمانة . والامانة تؤدى الى الاتقان كما تؤدى الى سعة الرزق ولهذا كانت أولى الاعمال امتحانا فى صفة الأمانة هى التجارة فصاحبها منكر لذاته مستقيم صادق ومن ترك هذه الصفات خسر الدنيا والآخرة وقد كانت هذه الصفات من صفات حبيبنا ونبينا صلى الله

عليه وسلم عندما كان يتاجر مع خديجة فى مالها حتى لقبوه بالأمين .
وكثير من الناس يرى الغاشين والمخادعين ناجحين فى أعمالهم فيأسف على أمانته وعدم تداول سلعته . ولكن الزمن كفيل بأن يرد الحق لنصابه وغدا يكشف أمر الغاش والمخادع فينصرف الناس عنه ويبقى الى الأبد فقيرا وتعود الأمانة الى صاحب الأمانة ويعرف الناس فضل صاحبها فيولونه ثقتهم ويقبلون على معاملته .

لقد خرج الاسلام ليحارب البطالة ويحض على العمل . والامام عمر بن الخطاب يقول : (لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول اللهم ارزقنى وقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة) وسئل معاوية رضى الله عنه عن المروءة فقال هى : (العفـــة والحرفة) . وجاء رجل الى الحسن بن على كرم الله وجهه فقال له (انى أنشر مصحفى فأقرأه بالنهار كله) فقال له الحسن (اقرأه بالغداة والعشى ويكون يومك فى صنعتك وما لا بد منه لرزقك ورزق من تعول) .

والانسان بفطرته مساق الى العمل لأنه اعتاده فاذا لم يعمل طلب العمل لان فى كل عضو من اعضائه له حركة وفى بطلان حركة أى عضو شلل له فيصاب الانسان بالعجز لأن الانسان كالآلة فاذا لم تعمل هذه الآلة أصيبت بالصدأ . فالعمل اذن خلاصة الفكر والحياة فرصة لا تعوض والعمل كامن فى النفس ولكنه يحتاج الى محرك والتحرك للعمل هو الطموح فى الانسان فان كان الانسان عاملا عظيما مراعيا لله ولحقوقه كان العمل عظيما ووصل للنهاية بنجاح .

وكثير من الناس يعمل بنفسه فيشرف على جميع أعماله ويقف عليها ولا يأبى ذلك ويجده مفخرة وعزة وسؤددا . والكثير أيضا يكل امره الى غيره من العاملين والصناع ولكن الأول ناجح نجاحا أكيدا لان النشاط بالاشراف الذى يؤديه يكسبه الوقوف على كل صغيرة وكبيرة فى عمله فيصلح الخطأ ان وجده بخلاف غيره فانه

يدارى الخطأ خوفا من صاحب العمل . والعمل بنفس الانسان دليل على سلامة الفطرة وعلى أن الانسان يقدر نفسه حق قدرها أى أنه يضعها فى الموضع الطبيعى لها . لا كبرياء ولا تهاون ولا كسل ، وليس معنى هذا اننا ندعو لان يعمل الانسان كل أعماله بنفسه ولكن لا أقل من أن يشرف على الكبير منها بنفسه فعلا وان ينصح فيما تبقى منها بعد ذلك وبأيدى الآخرين وهذا ما نسميه بالاعتماد على النفس .

يقول الله تعالى (ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون) وفى هذا توجيه للزارع لمراعاة أرضه التى يقوم بخدمتها والعمل فيها حتى يجنى ثمار ذلك مع المداومة على هذا العمل حتى يؤدى واجب الشكر للذى خلق فسوى وأنبت المرعى ويقول الله تعالى (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون) ويقول جل شأنه (انى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى) ويقول أيضا (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها) .

وفى هذا نرى ان العمل شرط أساسى فى اقامة الحياة الدنيا وعمرانها وان الله جل شأنه أمر بذلك حتى يستقيم الناس فى معاشهم وحياتهم التى أعدها الله لهم « ولكل درجات مما عملوا وليو فيهم أعمالهم وهم لا يظلمون » . نسأل الله الكريم أن يجعلنا من الذين انعم عليهم برضوانه وحببهم فى العمل الصالح الذى يرضاه . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

— ٢ —

وفى اليوم التالى عاود سيدى عبد الرحيم القاء درسه فبدأه ببسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال :

الدعامة الثالثة فى الدين الاسلامى الأخلاق — الرسول العظيم ، والمعلم الكبير سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مؤسس الأسرة الاسلامية المحمدية هو احسن الخلق أخلاقا واطيبهم نفسا ، وازكاهم عقلا ، وأرجحهم رأيا ، وانظفهم سريرة ، واقومهم طبعا ، وأكيسهم معاملة ، واجملهم خلقة وأكملهم خلقا .

ويكفى فى وصف أخلاقه الآية الكريمة قال الله تعالى (وانك لعلى خلق عظيم) ونبى كريم هذا وصفه المعروف المدروس بشهادة ربه الذى ارسله للناس كافة ثم هاديا ومبشرا ونذيرا تصفه السيدة عائشة رضوان الله عليها فتقول (كان خلقه القرآن) ومعنى هذا انه لا نقص ولا عيب فيه ولا شاردة توجب الشك فى أى أمر من أموره ولا واردة تجعلنا فى حاجة الى دليل لنزيد تحسينا فى وصف أخلاقه صلى الله عليه وسلم .

فالذى أخلاقه القرآن الكريم سام فوق السمو وعال فوق العلو وكامل فوق الكمال وعظيم فوق العظمة وسمح فوق السماحة .

وأمة هذا معلمها أمة عظيمة لو انها اقتدت به واقتبست عنه وسارت فى الطريق الذى رسمه لها بأمر من عند ربه جل شأنه .

ولعل أول وصية انذر أمته تلك الخطبة التى ألقاها حين قدم المدينة قال : (أيها الناس فقدّموا لأنفسكم . تعلمن والله ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه وليس لها راع . ثم ليقولن له ربه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجب دونه ألم يأتك رسولى فبلغك . وآتيتك مالا وأفضلت عليك . فما قدمت لنفسك ؟ فلينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم فمن استطاع أن يقى وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل . ومن لم يجد فبكلمة طيبة فانها تجزى الحسنة عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته) .

هذه كلمة احتوت العلم والعمل والأخلاق ..

ثم هذه الخطبة التى كانت آخر خطبة القاها عليه الصلاة والسلام وسميت بالوداع .. قال عليه الصلاة والسلام (أيها الناس .

اسمعوا قولى . فانى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف .

أيها الناس .

ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام الى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا . وانكم ستلقون ربكم فيسألكم عن اعمالكم فمن كانت عنده أمانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها .

وان كل ربا موضوع . ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون . قضى الله انه لا ربا وان ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله .

وان كل دم فى الجاهلية موضوع . وان أول دماءكم اضع دم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب .

أيها الناس .

ان الشيطان قد يأس أن يعبد بأرضكم هذه أبدا .

ولكنه ان يطع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم .

أيها الناس ،

انما النسيء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله وان الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض . وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة منها متوالية ورجب مفرد الذى بين جمادى وشعبان .

أيها الناس ،

اسمعوا قولى واعقلوه . فان لكم على نسائكم حقا ولهن عليكم حقا .

لكم عليهن ألا يواطئن فراشكم أحدا تكرهونه وعليهن الا يأتين بفاحشة بينة . فان فعلن فان الله قد أذن لكم أن تهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح فان انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف .

واستوصوا بالنساء خيرا فانهن عندكم عوان لا يملكون لأنفسهم شيئا . وانكم انما اخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله . فاعقلوا أيها الناس قولى فانى قد بلغت .

وقد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا . كتاب الله وسنة نبيه .

أيها الناس . اسمعوا قولى واعقلوه . تعلمن ان كل مسلم أخ للمسلم وان المسلمين أخوة فلا يحل لامرىء من أخيه الا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمن انفسكم .

الا هل . بلغت .

قال الناس . اللهم نعم .

وقال صاحب الدعوة الاسلامية . اللهم فأشهد .

يا أخوة فى الله . يا أمة محمد الرؤوف الرحيم . هذه أول خطبة قالها معلمكم العظيم . وهذه آخر خطبة قالها . انها دستور كامل للعمــل . والعلم . والأخلاق . ماترك شيئا الا ذكره . ولا قانونا الا حض على اتباعه ولا طريقا الا أوضحها ثم أشهدكم على أنفسكم فشهدتم له بالابلاغ وأشهد هو عليه الصلاة والسلام ربه عليكم عالم الغيب والشهادة . أليس فى هذا القول شروط الأخلاق العظيمة . نعم . هذا القول هو كل الأخلاق . فما معنى ذلك . . ؟

الخطبة الأولى فيها أول كلمة الحض على العمل (فَقَــدموا لأنفسكم) وان الانسان لا بد وأن خيرا مثله ولهذا كان حسن الخلق وهو الدافع لعمل الخير ثم أنذركم رسول الله بأن الموت يأتى فجأة وانكم تتركون هذه الدنيا بغتة ثم تسألن عند ربكم دون حجاب ألم يأتكم رسولى . . ؟ ثم أعطاك رزقا وأفاض عليك من نعمه فماذا فعلت ؟ . . وهنا يقف حسن الخلق دافعا للشكر على النعمة وعاملا قويا لمعرفة فضل سيدك جل شأنه عليك .

ثم . . حذرك الرسول الأمين من مخالفة الله وورودك عليه صفر اليدين ليس أمامك غير جهنم تصلاها مذموما مدحورا ثم بين لنا عليه الصلاة والسلام أدنى الاحسان بشق تمرة أو بكلمة طيبة . ثم جاءت الخطبة الأخيرة يهيب بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لسماع قوله وانه قارب اللحاق بالرفيق الأعلى فماذا قال . . ؟

حرم القتل والسلب والنهب وان هناك عند الله حسابا فيسألكم من أعمالكم . وعن أخلاقكم . وعن علمكم . وعن الأمانة فليؤدها الذى أؤتمن عليها . ثم حرم الربا والأخذ بالثأر ظلما . وحذرنا من الشيطان وخبثه وبين لنا معالم الحياة الدنيا بأيامها ولياليها ثم أبان حق الزوج والزوجة وكل الزمه بواجباته ثم وصى بالنساء خيرا لضعفهن ثم وضع أساس الهداية والأخلاق لنلجأ اليه عند طلب

المعرفة . كتاب الله وسنة رسوله . ثم أوضح لنا علاقة المسلم بالمسلم وأرسى قواعدها بأن تقوم على الأخلاق الحميدة المؤدية الى العمل الحسن . وحسن المعاملة .

يا اخوة . يا أمة محمــد العظيم . كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تعلموا من النبى صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزها حتى يتعلموا ما فيها من (العلم والعمل) فقالوا فتعلمنا القرآن والعلم . ومن تعلم القرآن فقد حسنت أخلاقه .. وبهذا فالدين الاسلامى دين علم وعمل وأخلاق ..

القرآن الكريم هو الأخلاق السامية وكلام رسول الله وحديثه مأخوذ منه وعلى نمطه . فاسمعوا قوله عليه الصــلاة والسلام حيث وصاكم فى خطبة الوداع . انظروا الى هذا الحديث أيضا وتعلموه واعملوا به وله . قال عليه الصلاة والسلام (أن لله طيب يحب الطيب . نظيف يحب النظافة . كريم يحب الكرم . جواد يحب الجود . فنظفوا افناءكم وساحاتكم . ولا تشبهوا باليهود يجمعون الاكب فى دورهم) ومعنى الاكب الزبالة ثم انظروا لأخلاق صحابة الرسول المتبعين لأوامره .

لما ارسل أبو بكر الصديق رضى الله عنه خالد بن الوليد لقتال المرتدين كتب له (اعلم أن عليك عيونا من الله ترعاك وتراك . فاذا لقيت العدو فاحرص على الموت توهب لك الحياة . ولا تغسل الشهداء من دمائهم فان دم الشهيد يكون له نورا يوم القيامة) .

وأوصى هارون الرشيد عبد الملك بن صالح فقال :

أنت تاجر الله لعباده . فكن الضارب الكيس أن وجد ربحا أتجر والا احتفظ براس المــال ولا تطلب الغنيمــة حتى تحــرز السـلامة وكن من احتيالك على عدوك أشــد خوفا من احتيال عدوك عليك .

يا أخوة فى الاسلام . العلم بدون عمل وأخلاق لا يستفاد من صاحبه والعمل بدون علم ولا أخلاق فاسد فى اتجاهاته .

والأخلاق بدون علم ولا عمل صاحبها متواكل وليس فى الاسلام متواكلون الكل يسعى ويعمل ليأكل مما عملت يده كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله) .

وهنا سأل سيدى يوسف أبو الحجاج الاقصرى سيدى عبد الرحيم القنائى هذا السؤال قال هل وصل من امة محمد صلى الله عليه وسلم الى اخلاق الرسول وهل وصل السابقون الى هذه الأخلاق .

فأجاب السيد عبد الرحيم القنائى قال :

يا اخ يوسف . الاجابة عن هذا السؤال بصفة اجمالية . لا . لأن الذى (خلقه القرآن) وصفا واصلا ليس كمثل الذى اتخذ الرسول أسوة حسنة وليس الشيء الكامل كقطعة مأخوذة منه . فالسابقون من الأنبياء كانوا على خلق حسن كريم . ومن اتبع رسول الله من بعده وعمل بوصاياه وسار على نهجه هم على خلق حسن كريم . والنور المرسل من المصباح ليس كالمصباح نفسه فالرسول عليه الصلاة والسلام مصباح المخلوقات جميعها وهؤلاء جميعا اشعاع من نور هذا المصباح . ومن هذا وصفه ربه بأنه على (خلق عظيم) . لأنه اصل وما تفرع من أخلاقه فهى فروع للأصل وهنا عاد السيد يوسف ابو الحجاج بسؤال آخر قال :

اذا عملت بما يعمل الرسول صلى الله عليه وسلم تماما الا اكن

فى هذه الحالة مساويا لأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم .

قال السيد عبد الرحيم القنائى . أنت يا يوسف جئت الى ساحة الرسول صلى الله عليه وسلم خال من كل شيء وجلست تأخذ نصيبك وعملت واجتهدت حتى وصلت الى مقام أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن رسول الله جاس الى ربه وجاء للناس كاملا بأخلاقه لم يقتبس من مخلوق . ولهذا يقول عليه الصلاة والسلام (ادبنى ربى فأحسن تأديبى) .

وبهذا انعدم فضل الناس على رسول الله . وبقى عليه الصلاة والسلام لربه فأدبه ورباه بمعرفته (ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى) تلك أسس الأخلاق الزاكية تولاها الله بنفسه فغرسها فى شخصية حبيبه صلى الله عليه وسلم .

والبرهان الآخر يا أخ يوسف يقول الله تعالى (لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) ولا تطلق الرحمة والرأفة هذه على اى مخلوق ابدا مهما أوتى من العطف والشفقة وفى هذه الصفات سر لا يدركه مخلوق ولكن يعلمه الخالق (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) فالنور رسول الله نور بأخلاقه ورأفته ورحمته نور بكماله الظاهر والباطن . نور كله حتى فى الابتسامة التى يبتسمها كلها أدب وحياء . حتى فى المشية التى يمشيها كلها اخلاق ورعاية . حتى فى الكلام الذى يتكلمه علم ومعرفة ووصاية . وختاما للرد على الأخ يوسف لم يبلغ مبلغ اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم

بالوصف الذى وصفه ربه فقال (وانك لعلى خلق عظيم) بأسرار سر تمكين الآية فى باطنها وبأنوار أضـواء جمـال تكوين الآية فى ظاهرها مما لا يعلمه الا الله ورسوله . لم يبلغ مبلغه فى أخلاقه صلى الله عليه وسلم لا فى السابقين قبل الاسلام ولا فى اللاحقين بعد الاسلام ولأنه خاتم الأنبياء والمرسلين ولأنه يقول (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) (*) .

وهنا يسـأل أبو الحسن الصباغ القوصى شيخـه السـيد عبد الرحيم القنائى . يا مولانا . نجد فى كثير من آيات الكتـاب المبين عتـاب لرسـول الله صلى الله عليه وسلم أو يفهم منهـا ذلك . ومن الآيات مثلا (انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشـاء) ، (عفـا الله عنك لم أذنت لهم) فأجاب السـيد عبد الرحيم القنائى قال :

يا أبا الحسن . ليس هذا عتاب من الله لرسوله . ولا رفض لطلب صدر من حبيب لحبيبه ولا افشاء سر أو فيه قدح لنبينا صلى الله عليه وسلم . ولكن كل هذا قول كريم من الله لرسوله حتى يزداد الحب الذى هو أصـل رسالة رسول الله بينه وبين ربه . فهى تلك ملاطفة لدوام اتصال قلب شاكر ذاكر هو قلب محمد صلى الله عليه وسلم نحو خالق كريم يحب محمـدا نبيه ورسوله . ثم انظر يا أبا الحسن كيف فرق الله بين مقدار الرسول عنده وبين مقـدار أمة الرسول فى آية واضحة المعـانى والبيان ظاهرة فى المقارنة والمقدار قال الله تعالى :

(ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا) هذا قول الله فيمن آذى الله ورسوله .

ثم قال جل شـــأنه (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا) هذا قول الله فيمن آذى المؤمنين والمؤمنات .

انظر يا أبا الحسن الفارق بين وضعين وفى حالتين متشابهتين حال الرسول عند ربه . ومقدار المؤمنين والمؤمنات ، وما ذلك الا لعلو قدر الرسول ومكانته بأخلاقه التى تميزت عن كافة المخلوقات بشىء هو سر عند رب العالمين مما لا يمكن أن تساوى بأخلاقه أى أخلاق اخرى من العالمين (والله اعلم) (ان الله وملائكته يصلون على النبى) لم يشرف بهذا أحـــد ســـواه والى هنا نستغفر الله العظيم ونتوب اليه . وفى هذه الليلة ولدت ليلة القدر . وسوف نبدأ غدا درسها ان شاء الله تعالى .

وفى يوم ٢٢ رمضان بدأ سيدى عبد الرحيم درسه فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم . بسم الله وليس باسم احد من مخلوقاته وان عظم شأنه وذاع صيته وكثرت حسناته وان كان نبيا أو رسولا أو عالما جليلا أو انسانا مؤمنا تقيا ليس هناك اسم يعلو شأنه ويحسن الاتجاه اليه والتمسك به سوى اسم الله وليس للذاكر أن يذكر اسماغير اسم الله وليس لمتقرب أن يتقرب الى أى أمر من الأمور عظم أم صغر الا بذكر اسم الله . وليس لحصن أن يمنع مصيبة أو يرد عدوانا أو يقى شرا الا اذا ذكر عليه اسم الله أو ذكر المتحصنون به اسم الله وليس من طعام أن يكون صالحا مفيدا مباركا فى معنوياته حلالا طيبا الا اذا ذكر عليه اسم الله . والرسول صلوات الله عليه وسلم يقول ما معناه :

كل شىء لا يذكر عليه اسم الله فهو أبتر . وقيل ايضا لا يرد دعاء أوله بسم الله الرحمن الرحيم . وقيل ايضا كل شىء لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو اقطع .

« الرحمن » اسم صعب على الوقوف على جلاله وشق على الخوض فى بحوره وسبحت حتى غرقت ولولا فضل الله على ما انتشلت وصرت حيا بينكم اسعى واتكلم واعبد الله وأرجو رضاه .

« الرحمن » اسم هز مشاعرى فقصرت مشاعرى عن التفسير لهذا الاسم الكريم . « الرحمن » اسم اقلق مضجعى لولا

استغاثتى وتضرعى اليه جل شأنه لذاب هذا اللحم وتفتت هذا العظم .

« الرحمن » اسم مكثت سنين طوال أتفكر وأتذكر وأقول هل المعنى الرحمة المطلقة منه جل شأنه . فأسمع نداء يقول لى تأدب يا قاصر الطرف والادراك . فقلت علمنى يا ربى كيف أصل الى المعنى المقصود . فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مناما فسألته عليه الصلاة والسلام فقال لى يا عبد الرحيم « الرحمن » اسم الله الذى ادخر معناه لنفسه ولم يطلع عليه أحد من عباده واختص به أقواما نسبهم الى اسمه هذا فسماهم عباد الرحمن . فضلهم على عباده وميزهم بصفات وقربهم اليه ورفعهم فوق سائر الناس ولهذا فان معنى هذا الاسم لو عرفت كما تدرك لأدركت كما عرفت ولو عرفت وأدركت لتركت وندمت .. فقلت يا سيدى يا رسول الله ما معنى لتركت وندمت فقال عليه الصلاة والسلام لتركت البحث وبقيت فى النور .. فى نور اسمه « الرحمن » فالنور يحبب الانسان النظر اليه وقد يقرب القلب منه اليه وفى هذا يبقى الشوق عاملا من عوامل القربى الدافع للعمل المتصل الخالص لله . وندمت أنك لو وصلت الى نهاية العلم فيه . وقد انتهى بك المطاف بشوق لا تتحمله فتذوب فلا تدرك وعندما تفقد الادراك فلا حلاوة ولا طلاوة .. يا عبد الرحيم »

« الرحمن » ... اسم خاص لا يأتى ذكره فى القرآن الا وبعد هذا الاسم أمر عظيم وخبر كبير .. ولا يلتصق به من المخلوقات هيبة الا هم أصحاب الشأن العظيم . ولا ينظر أحد الى كتابة هذا الاسم يوما واحدا بالبصر والبصيرة والتبصير الا وقد تكلم

هذا الناظر فى خوارق الأمور وأدقها وأصعبها وبكلام ليس من مستوى الناظر والمتكلم .. يا عبد الرحيم .. أتريد أن تنظر .. فقلت اخاف يا رسول الله .. فقال عليه الصلاة والسلام « مناما » يا عبد الرحيم . ابق على الطرف قليلا ثم انظر .. فنظرت فرأيت عجبا .. رأيت اسم الرحمن يردده ملائكة هم حملة العرش وحولهم ملائكة لا عد لهم ولا حصر انهم يحومون حول عرش الرحمن ليس لهم ذكر غير ذكر اسم الرحمن والدعاء والاستغفار للذين آمنوا وتابوا واتبعوا سبيله فى أصواتهم قوة ورقة وفى وجوههم نور ليس مثله نور يقولون ربنا وسعت رحمتك كل شىء رحمة وعلما . فأغمى على حتى افقت والعرق قد بلل جميع ملابسى واستيقظت وأنا أقول « الرحمن فاسأل به خبيرا » فبقيت على ذلك اقول للناس « الرحمن » اسم علائى الكون لا يعلمه الا الله .

« الرحيم » من الشفقة والرأفة أو هو أعلا منزلة منها بعباده المتقين المؤمنين . وبكل حى مرزوق بأمر من عند الله . وبعد يقول الله تعالى « بسم الله الرحمن الرحيم انا انزلناه فى ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر سلام هى حتى مطلع الفجر » .

يا عباد الله .. فى تلك الليلة الماضية من تاريخ أمة ولدت ليلة القدر « ٢١ رمضان » والتى نحن بصددها اليوم نفسر لكم بقدر المستطاع عظمة هذه الليلة المباركة كما ورد ذكرها فى كتاب الله وكما ورد ذكرها من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « التمسوها فى العشر الأواخر من رمضان » .

ويقول الله تعالى فى آية اخرى بسم الله الرحمن الرحيم « حم والكتاب المبين انا انزلنا فى ليلة مباركة انا كنا منذرين . فيها يفرق كل امر حكيم امرا من عندنا انا كنا مرسلين » .

يا اخوة . بارك الله فيكم وعليكم والبسكم من لباس الخير ما يكفل لكم ستر ذنوبكم وعافاكم من الامراض حتى تطهر نفوسكم يا امة محمد صلى الله عليه وسلم . التفتوا الى قليلا واسمعوا فانا جميعا من امس فى بحر من الخير وعلى شاطىء الندى ويجوار بر السلامة وابصارنا الى الله تقول « يارب » متوسلين بخير هاد ومرسل الحبيب الصافى قلبا وقالبا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم « ليلة القدر . وما ادراك ما ليلة القدر » .

اعلموا ان الله سبحانه وتعالى له مطلق الحكم والملك وهو الذى يرفع من يشاء ويخفض من يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء والله جل شانه جعل بامره تفضيلا فى مخلوقاته عموما سواء فى البشر او الحيوان او الجماد او الزمان او المكان . شان من شئون الله فى مخلوقاته لا شريك له .

فسيد البشر آدم عليه السلام وسيد الفرس سلمان الفارسى وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الشهداء الحسين عليه السلام وسيد شباب أهل الجنة الحمزة عليه السلام رض وسيد القوم على بن أبى طالب وسيد الصادقين أبو بكر الصديق وسيد العارفين عمر بن الخطاب وسيد الخائفين من الله عثمان بن عفان رض وسيد الشجعان خالد بن الوليد وسيد الصابرين أيوب عليه السلام . وسيد الشاكرين أويس القرنى اليمنى حبيب رسول الله ﷺ

وسيد الكتاب معاوية رضى الله عنه . وسيد العاشقين لرسول الله أبو هريرة رضى الله عنه وسيد الفقهاء أبو حنيفة النعمان رضى الله عنه وسيد العدالة عمر بن عبد العزيز وسيد المدققين الامام مالك رضى الله عنه وسيد السمحاء الامام الشافعى رضى الله عنه وسيد المتحققين الامام احمد بن حنبل رضى الله عنه . وسيد الخير الخضر عليه السلام . وسيد المخلصين يوسف عليه السلام وسيد الأوابين داود عليه السلام وسيد الراضين عيسى بن مريم عليه السلام وسيد العلماء موسى عليه السلام وسيد النادمين يونس عليه السلام وسيد الطب ادريس عليه السلام وسيدة النساء مريم عليها السلام . وسيدة البر السيدة فاطمة الزهراء وسيدة الحفاظ عائشة رضى الله عنها وسيدة الوفاء خديجة زوج الرسول صلى الله عليه وسلم وسيدة الأمهات آمنة بنت وهب أم رسول الله . وسيدة الحياء السيدة زينب رضى الله عنها وسيدة الاخلاص السيدة سكينة رضى الله عنها وسيدة العفة السيدة نفيسة رضى الله عنها وسيدة الحب لله ولرسوله السيدة حفصة رضى الله عنها وسيدة الكمال أم كلثوم بنت رسول الله رضى الله عنها وسيد العالمين محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حوى جميع الصفات وبها أصبح رحمة للعالمين .

وسيد الشهور الأشهر الحرم وسيد الأيام يوم الجمعة وسيد النهار الصلاة الوسطى وسيد الليالى « ليلة القدر » . وسيد الأمور أوسطها خيرا . وسيد الأعمال الصلاة والمداومة عليها وسيد الأنوار نور رسول الله صلى الله عليه وسلم . وسيد المال القرش يبذل فى سبيل الله وجمع من حلال ، وسيد البلاد مكة

المكرمة . وســـيد الكلام القرآن الكريم . وسيد القرآن سورة البقرة . وسيد سورة البقرة آية الكرسى . وسيد الايمان لا اله الا الله محمد رسول الله . وسيد الكتب كتاب الله . وسيد الحديث حديث رسول الله وسيد الطرق طريق يوصل لله وسيد البيوت بيوت الله وسيد بيوت الله الكعبة . وسيد الأحجار الحجر الأسود وسيد البحار بحر اغترف منه الخضر عليه السلام غرفة ماء يقى بها باذن الله من يحمل رسالته مدى الحيـــاة . وســـيد الحروف الألف وسيد المكرمين ابن آدم . وسيد ولد آدم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وسيد المقابر تربة ضمت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وسيد التراب التراب الذى تشرف بقدم رسول الله بعد نزول الوحى عليه . وسيد المغارات غار حراء . وسيد الحياة الدنيا العلم . وسيد العلم العمل . وسيد العمل الأخلاق . وسيد الأخلام أخلاق رسول الله . وسيد الزينة المال . وسيد المال الاحسان . وسيد الاحسان المروءة . وسيد المروءة الاخلاص وسيد الاخلاص الاتقان . وسيد الاتقان المعرفة . وسيد المعرفة معـــرفة الله سبحانه وتعـــالى . وســـيد الخضروات اليقطين . وسيد الفواكه المن والسلوى . وسيد الأشجار النخلة . وســـيد العروش فى الأرض عرش بلقيس . وسيد القتلى الغـــلام الذى اقتله الخضر عليه السلام وذلك لأن الله سبحانه وتعالى أنقذ أهله من الكفر بقتله وأنقذ الله الغلام من الكفر أيضا لأنه قتل صغيراً لا حساب عليه .

وسيد الغنم كبش فداء اسماعيل عليه السلام . وسيد الابل ناقة صالح عليه الســـلام . وسيد الكلاب كلب أهل الكهف .

وسيد الحمير حمار العزيز . وسيد البقر بقرة موسى . وسيد الحشرات نظاما النحل .

وسيد الطيور علما الهدهد . وسيد الطيور جمالا الطاووس وسيد الطيور أخلاقا القمرى الشاكر الذاكر وسيد الطيور عفة الحمام . وسيد الطيور قوة الصقر . وسيد الطيور حكمة الغراب .

وسيد الوحوش الأسد . وسيد الحشرات سعيا النمل . وسيد الحشرات نظاما النحل .

وهناك كثير لا عد له ولا حصر نكتفى منه بهذا الذى ذكرناه وترون من هذا التفصيل ان لله وحده مطلق التصرف فى مخلوقاته ...

وفى ٢٦ رمضان من عام ٥٨٧ هـ تحدث الشيخ عن ليلة القدر فقال بعد البسملة والصلاة على سيدنا رسول الله .

وقد كان من جوده ان سمى ليلة من الليالى (القدر) كما تسمى أنت ولدك بأى اسم من الأسماء . والقدر فى العرف هو (المنزلة والشرف والعزة والكرامة) . وكيف لا تكون هذه الليلة كذلك وقد نزل فيها كلام الله على خير خلق الله بعد أن طال الزمن بينه وبين رسالة أخيه عيسى بن مريم وما نزل عليه فى الانجيل من عند ربه . لم يأت جبريل برسالة من عند خالقه على رسول بعد عيسى عليه السلام ولم تتغير القوانين السماوية فى الأرض وكان لابد من نزول أوامر الله الى خلق الله بعد ان فسد الجال وأظلمت النفوس واضمحلت الأخلاق وعبد الناس غير الله . كان لابد من تغيير ولابد من تبديل والتغيير والتبديل ثابتان من يوم أن انتهت رسالة عيسى عليه السلام . لقد بشر عيسى بأن سيأتى من بعده رسول اسمه (أحمد) ولعلمه أن رسالته لم تتم وأن هناك من سيتم الرسالة بقوانين كاملة ومتممة لرسالته وأن هناك (احمد) سيأتى ليزيل هذه الآلام التى تحملها عيسى عليه السلام من قومه وأن (أحمد) سيقاسى مثلها من الشدائد فى دعوته كما قاسى هو من قبل ولكنه على كل سوف يتمم (أحمد) الرسالة ولا يتركها الا وقد أرسى الحجر الأساسى لبنيان كامل ودعائم قوية وان (أحمد) سوف ينتصر وينتصر ويقر فى الأرض عدالة كاملة نابعة من دعوة الاسلام ودين الاسلام .

ولكن (أحمد) لم يكن ملكا ذا عرش وصولجان ولا عالما يتكلم بلغة قريش ويبارز مع الفتيان ولا كاهنا تشد اليه الرحال ولا متعلما يخط بالقلم ويساجل الركبان ولا مخترعا يرسم الخطوط

وينشيء المدائن بالعلم والمـــال ولكنه (بشر أمى فقير من الثراء والمال) . فضله الله على جميع خلقه بكلامه لأنه نبي ورسول . وفضله على جميع الأنبياء والمرسلين لأنه آخر انبيائه ورسله حمل الرسالة وادى الأمانة واتمها وارسى قواعدها . وكان لابد (لأحمد) أن يتلقى قانونا جديدا من السماء . وحمل جبريل هذا القانون حمل امانة الوحي ونزل بأول أمر على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قائلا له (اقرا) وكان ذلك فى ١٧ رمضان من تلك السنة وعمر (محمد) أربعين سنة وستة اشهر .. قال (محمد) ما أنا بحافظ شيئا حتى أقراه فماذا اقرا (اقرا يا محمد) اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ، والرسول صلوات الله وسلامه عليه يخبرنا بذلك فيقول « جاءنى جبريل وأنا نائم (بنمط من ديباج) فيه كتاب فقال اقرأ فقلت ما أقرأ » .

اعلموا يا اخوة فى الله . أن في هذه الآيات ستة امور هامة بدأ الله بها رسالة نبيه عليه الصلاة والسلام . اولها الأدب فى الكلام بأن يبدأ فى كل شيء باسم الله فى القول والفعل (اقرأ باسم ربك) . وثانيهـــا التعريف بوجـــود الله فى قوله (الذى خلق والثالثة كيفية خلق الله للانسان وانه خلق من اضعف الأمور فى قوله (خلق الانســان من علق) والرابعة أذن الله لنبيه بالفتوح والقراءة فى قوله (اقرأ وربك الأكرم) والخامسة تنبيه رسول الله الى نظم التعليـــم وانه هـــو المعلم الاول فى قوله (الذى علم بالقلم) والسادسة تعليم رسول الله الرجوع الى الله فهو صاحب كل شيء فى قوله (علم الانسان ما لم يعلم) .. وأنت يا محمـــد يا صفوة خلقى هذه رسالتى وبها صرت عالمـــا أكبر من العلماء فصيحا أكثر من الفصحاء قويا بكلامى غنيا بى فأنا الغنى الحميد .

ونزل جبريل عليه السلام بكلام الله . وكان لابد لهذا الحدث العظيم من نزول الملائكة الى كل بقعة فى الأرض تستقبل كلام الله

وتحتفل بهذا الأمر الجلل . وانتشرت الملائكة تسبح بحمد ربها وعم ضوء جديد على سماء الأرض . فأنار أطرافها .. لقد كان هناك شرك بالله وهناك أيضا أحجار تعبد من دون الله وهناك أمم عبدت غير الله .. ولكن قد كان نزول كلام الله فى أول الرسالة كزلزال قوى دك صرح المشركين وأضعف قوى المستبدين وانزل الخوف فى قلوب المعاندين فانتبهوا ثم استيقظوا . يقولون فى دهشة ماذا حدث ويقولون بأن هناك خبرا جديدا لرسالة نبى جديد .. أن خديجة زوجة (محمد) بدأت تتكلم فى قومها عن زوجها (محمد) لقد نزل عليه كلام من السماء يؤيده رب السماء نزل اليوم وفى هذه الليلة والحفل لا يزال قائما فى ربوع الأرض « لقد ارتجف الرسول وارتعدت فرائضه انه امر قوى (لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) ولكن (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين) نزل على قلب (محمد الأمين) لا تخف يا محمد لأن كلامى هذا لو نزل على جبل وانت تعرف معنى الجبل الذى سكنته متطلعا فيه الى « لرايت هذا الجبل اهتز خشوعا وتصدع أركانا من خشيتى وهيبتى ، فكيف بك وقد أنزلته على قلبك وانت بشر . لا تخف من ارتعاد فرائصك حتى تقول زملونى دثرونى (يا أيها المزمل ويا أيها المدثر) لا تخف فانى جعلت فى قلبك من قوتى وجعلت فى قلبك من رحمتى وجعلت فى قلبك من رأفتى وجعلت فى قلبك من نورى وجعلت فى قلبك من كلامى هذا ، فهو قوتى ورحمتى ورأفتى ونورى ان كلامى كله لم ينزل على قلبك مرة واحدة ولكن جعلته فى سور وآيات لوقتها لتكون من المنذرين . وألبستك ثوب الخشوع ووقيتك التصدق وأقمتك لنفسى لتؤدى رسالتى التى أتممتها بك وانهيتها بنبوتك . وقد جعلت من هذا الوقت مفخرة وشرفا تحتفل به ملائكتى وليكن لمن اتبعك منه نصيب ».

لهذا سميت هذه الليلة (القدر) لعلو منزلتها واشعارا لمبادئ

بتقديرها وليس هذا يا محمد فحسب بل كان الحفل لى ولك وكان الابتهاج بهذه الليلة لى ولك . وكان الفرح فيها لى ولك . انا صاحب هذا الكلام وانت خزينة هذا الكلام .. (كلامى يا محمد) نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين الذى ارتضيته للعالمين ولتكون حامدا لى على اصطفائى لك كريما عندى عزيزا على ولتكون مثنيا على أن جعلتك نورا تهتدى بك الأيام والليالى ومن عاش فيها من المخلوقات وقطع اشواطها من انس وجان ولتكون عارفا لفضلى انزلت كلامى على قلبك .. هذا القلب الذى طهرته على عينى وأعددته قويا يتحمل ايداع كلامى . هذا القلب الذى توليته بنفسى رعاية وعناية حتى يكون لائقا لنزول كلامى عليه .. ونزل كلامى على قلبك هذا لتكون من المنذرين والشاكرين .. وقد شكرتنى فى طفولتك فجعلتك عدلا بين الناس على صغر سنك باشارات منى ليعرفك الناس فعرفوك بأنك (الأمين) وقد حمدتنى قبل الرسالة بأن اتجهت الى تبحث عنى فى أفكارك فهديتك الى .. الى صراطى المستقيم .. وانا الموجه لك يا محمد . ربيتك بنفسى وبعنايتى لم اشرك فى تربيتك أحدا من الناس بل وحتى اقرب الناس اليك واستخلصتك اليوم لرسالتى فاقرأ يا محمد (اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) وانى لأشهد وفاء زوجتك خديجة حينما تقول لك .. (كلا والله ما يخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم . وتحمل الكل . وتكسب المعدوم . وتعين على نوائب الزمن) .

والفرح يملأ بيتها والابتهاج يغمر نفسها وطاقة من النور انفتحت فى قلبها فأبصرت تذكرك بنعمى عليك . ان هذه الزوجة يا محمد كانت تعيش معك فى ليلة القدر واشتركت بنفسها وروحها وايمانها مع ملائكتى فى حفل ليلة القدر .. يا محمد لقد زينت سمائى الدنيا بمصابيح اكراما لكلامى الذى كان نورا عرفته أنت

وملائكتي وعباد الرحمن . وكان لكلامي قوة خشية الاتقياء من بني الانسان وكان لكلامي حين نزل على قلبك فسكن نوري هذا القلب فكنت أنت النور وأنت السراج المنير بأمري .. (وما ادراك ما ليلة القدر) وأنت تعرف ليلة القدر وما حدث فيها بيني وبينك وقد أطلعتك على عظمتها وأشرفت مع ملائكتي على بهجتها وحفظت عني أول كلام نزل على قلبك لتكون من المنذرين الشاكرين .

وشكرتني وجازيتك على شكرك لي بحسنات والحسنات عندي بعشر امثالها وأضعافها كيفما أحب واشاء . ففضلي واسع وكرمي كبير (انا فتحنا لك فتحا مبينـا ليغفر لك الله ما تقـدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما) هذا انعامي عليك وجزائي لك لشكرك اياي وحمدك لي والثناء علي . أفهمتك بأنك معصوم من الزلل قبل أن تولد ومحاط بعنايتي ورعايتي بعد ولادتك وان نعمتي تظلك من طفولتك حتى رسالتك وان طريقك التي تسير فيها وتقطع أشواطها في الحياة الدنيا هي طريقي . انها هي صراطي المستقيم .

(ليلة القدر خير من الف شهر) مننت فيها على النـاس بنعم لا تعد ولا تحصى . فعبد الناس غيري والتجأوا الى سواي واستعانوا بالأصنام واللات والعزى وضلوا عن سبيلي وأقاموا لهذه الأصنام وتلك المعبودات أفراحا واحتفلوا بها واتخذوا لها أعيـــادا في أيام وليالي يقيمون من الكفر نورا ومن الضلال بهجة من عنـد انفسهم وجعلوا بينهم شيعا وقبائل وعلوا في الأرض فســــادا وكبرياء منهم وظلما ، واعتدوا وكانوا من الآثمين .

هذه يا محمد هي ليلة القــدر احتفلت بهـا ملائكتي وجبريل . وشاركت انت بقلبك وروحك هذا الحفل الســـعيد واشترك مع الملائكة أرواح المؤمنين الذين ســـيؤيدون دعوتك التي امرتك بهـا وأرسلتك من اجلها (تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر سلام) . وأخذوا لكل أمر سلام ليبدأوا معك عند نشر الدعوة

تأييدا صادقا مخلصا لا عوج فيه ولا نضال بل سلام . بل تصديق بل اتباع . ان ذلك كله بأمرى . وامرى أنا مالك الملك العزيز القهار .

لقد انتهى الحفل يا محمد عند مطلع الفجر . انتهى وقت هذه الليلة قبل بزوغ نور النهار واقمت على هذا الأثر فى نفسك لتزداد به بين قومك اطمئنانا وجعلت من نهاية هذا الحفل عند الفجر وقته شكرا وعبادة . اننى أنا الله لا يعبد سواى ومن عبد سواى فقد ضل ضلالا بعيدا .

يا محمد . ان فى هذه الليلة فرقت بين الحق والباطل . وفى هذه الليلة كتبت النصر لك ولدعوتك . وفى هذه الليلة (يفرق فيها كل أمر حكيم ويبرم) . انها ليلة مباركة . انك انت يا محمد الآمر الحكيم المبرم . فأنت رحمة للعالمين ودعوة الى الله . فعش يا محمد فى بركتها كل عام . وأمر قومك أن يعيشوا لها كل عام فانى أتقبل توبة المذنب وأجيب دعوة المضطر وأكرم فيها السائلين والمنيبين الى . وما من عبد رفع يده الى تائبا الا قبلت توبته ولا محتاجا الا أعطيته .

يا محمد . احرص على ليلة القدر وأمر أهلك بالحرص عليها فانى احتفل بها وآمر ملائكتى ان يحتفلوا بذكرياتها . انها ذكرى قولى اليك (اقرأ) وذكرى رسولى محمد يوم أنزلت عليه (اقرأ) . ان الذكرى تنفع المؤمنين .

يا محمد . ان ليلة القدر انت تعرفها ولكنى اردت ان يعرفها عبادى فأنزلت بيانها اليك لتبليغ أمتك كيف بدأ كلامى اليك . وكيف كانت بداية رسالتك الى قومك وليأخذوا نصيبهم من الخير .

يا محمد . انها ليلة القدر وهى خير من الف شهر عبدوه هؤلاء المرسل اليهم وهم وعباداتهم فى ضلال . ان ليلة واحدة هى هذه فرقت فيها بين المؤمن والكافر . وبين الصالح والطالح .

وبين النصر والهزيمة . وبين العزة والذل . وبين النور والظلام . في ليلة واحدة فيها رضائي خير من ألف شهر عاش فيه هؤلاء الناس بشركهم في غضبي . انني أمنح رحمتي للقائمين لها والعاملين عليها وافتح أبواب رضائي ليغترف منه السائلون فأنا الرازق الكريم . لا من هذه الأصنام التي لا تسمع ولا تتكلم ولا تنفع ولا تضر ولا من هذه المعبودات التي لا ترفع ولا تخفض (أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون وكذلك تفصل الآيات ولعلهم يرجعون) .

ويقول جل شأنه (وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) .

هذه امتك يا محمد . أمة الحق الوسط . فتبارك الله الهادي الى صراطه المستقيم وهم الذين قلت لهم في بداية دعوتك (ماجئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني اليكم رسولا وأنزل علي كتابا وأمرني أن أكون بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم . فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه علي أصبر لأمر الله) .

يا اخوة في الاسلام . ويا أمة خير الأنام والمرسلين . قد سمعتم ما تيسر من القول والله أعلم بمراده فعليكم أن تستغفروا ربكم وتتوبوا اليه وابتغوا اليه الوسيلة بالطاعة والعمل الصالح . وادخلوا غدا في ليلة القدر فانها تكون في الأيام المفردة من الشهر واجعلوا بينكم وبين الله رباطا وخير رباط قراءة القرآن الكريم مع الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعد ذلك الدعاء .

أسأل الله لي ولكم السلامة في الدارين والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم .

— ٥ —

وآخر ما نورده هنـا من دروس سـيدى عبد الرحيم هو ما تحدث فيه عن قلب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان موعده يوم ٢٥ رمضان ٥٨٧ هـ .

وهنا وقبل ذكر الدرس الأخير ملاحظة .. فأنا لم أنقل دروس الشيخ وفقا للترتيب الزمنى .. وانما كان قصدى هو اختيار نماذج للموضوعات فان جاء زمانها متصلا كان بها .. والا توقفنا .. حتى ننقل موضوعا آخر . وهذا ما فعلناه .. فى نقل هـذا الدرس .

بسم الله الرحمن الرحيم . حمـدا لله كما اوجبه على كل مخلوق . ونصلى على سيدنا محمد النبى الهادى الى سبيل الله . وصراط الله . ووحدانية الله . كما أمر الله . صلاة تدفع بنا الى رضاء الله تعالى . ورضاء نبيه صلى الله عليه وسلم . وبعد .

موضـوع الدرس اليوم (قلب رسول الله صلى الله عليـه وسلم) .

وهو موضوع لم يسبق التكلم فيه . ولهذا رأينا أن يكون هذا الدرس فى الليالى الختامية لشهر رمضان المعظم لنأخذ من هذا القلب وصاحبه الكريم دروسا وعظاة وعبرا نستضىء بها فى هذه الحياة ولتكون هذه الحياة لنا حياة طيبة مباركة . حيـاة عمل لما يرضى مولانا جل شأنه .

يا رسول الله . منك نستمد هذا الدرس فاللهم افتح علينا .

أيها المسلمون .

رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضعته حليمة السعدية وهى التى نالت من بقاء الطفل محمد صلى الله عليه وسلم عندها من الخيرات ما لم ينله بيت من البيوت وهى التى قالته .. (وان فنمنا لتعود من المرعى بطانا حفلا وتعود غنم الناس خماصا جياعا) .. ثم تروى حليمة السعدية خبر شق البطن للطفل محمد فتقول . (بينما محمد يلعب خلف البيوت واخوه ـ تقصد ابنها ـ من بهم لنا اذ أتانى أخوه يشتد قائلا ان اخى القرشى جاءه رجلان عليهما ثوبان ابيضان فأخذاه فأضجعاه وشقا بطنه ..) قالت حليمة .. (فخرجت أنا وابوه وقلنا لمحمد مالك ..) قال الطفل محمد .. (جاءنى رجلان فأضجعانى فشقا بطنى وصنعابى يلم رداءه كما هو ..) تلك هى رواية حليمة السعدية وشهادة الطفل محمد لما صنع به .. ثم تقول حليمة السعدية مرة أخرى .. (لقد خشى زوجى على هذا الغلام ضررا فقال لى يا حليمة لقد خشيت ان يكون هذا الغلام قد أصيب فالحقيه بأهله قبل أن يظهر به ذلك ..)

احتملته حليمة حتى قدمت به على امه آمنة .. ثم ان آمنة اخذتها الدهشة من قدوم حليمة به على غير موعد سابق فسألتها ما أقدمك به يا ظئر ؟.. قالت حليمة قد قضيته الذى على .. وتخوفت الاحداث عليه فأديته اليك كما تحبين . ولكن هذا القول من حليمة غير شاف لآمنة الأم .. فردت عليها .. ما هذا شأنك يا حليمة فاصدقينى ..؟

فقصت عليها حليمة بحال محمد الطفل قالت .. تخوفت عليه الشيطان .. فردت عليها آمنة الأم التى تعلم سر ابنها محمد .. ومبلغ عظمته ووجوده فى هذه الدنيا أجابت .. كلا والله ما للشيطان عليه سبيل .. وان له لشأنا وانى رأيت حين حملت به أنه خرج منى نور أضاءت منه قصور بصرى ، ووقع حين ولدته

وأنه لواضع يده بالأرض رافع رأسه للسماء .. دعيه يا حليمة وانطلقى راشدة .

تلك هى قصة شق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو طفل من ثلاثة مصادر .

من أخ محمد فى الرضاع وهو ابن حليمة السعدية ..

ومن محمد الطفل الذى شحب وجهه من الخوف وتأثره بما جرى .

ومن انس بن مالك .

وبهذا الحديث يثبت لنا أن هناك شيئا قد حدث لرسول الله صلى الله عليه وسلم صغيرا ..

أيها الناس ..

عندما كنت بالمدينة المنورة مقيما فيها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ مناما وكان ذلك فى رؤيا ذات ليلة شاهدت فيها رسول الله عن هذه المسألة وكيف حدث شق الصدر فقال لى عليه الصلاة والسلام .. لقد شق صدرى وأنا فى اليقظة ما شعرت بشيء فيه ألم ، وأتانى الله بقلب سليم ليتحمل نزول كلام الله على هذا القلب ، لأن القلب الذى خلقت به طفلا لا يتحمل هذا النزول وأنت يا عبد الرحيم تقرأ كتاب الله الذى قال جل شأنه .. « بسم الله الرحمن الرحيم . لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله ..) .. « نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين . » فمن رحمة الله بى ان هذا القلب الذى ارتضاه ربى . فيه قوة ونورانية ونقاء وصفاء وقد سلم من كل شيء من أمراض الدنيا وعثراتها ، تجرى فيه آيات الرحمن التى نزلت عليه لم يخالطها شيء من قوة أخرى حيث كان كلام الله هو القوة والحياة وقد حفظه الله من الزيغ والنسيان وليس للشيطان سلطان عليه ، ومتى جرى قول الله فى مكان أصبح هذا

المكان به بعيدا عن الهوى وهذا هو معنى قول الله تعالى عنى « وما ينطق عن الهوى » وهذا هو معنى قول الله تعالى عنى « ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك » .. وهذا هو المعنى فى قول الله تعالى « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم » .. لقد كان الكتاب الايمان نورا فى قلبى وعلى قلبى . وكان قلبى نورا يهدى به الله من يشاء من عباده باذنه وأتى به جل شأنه لهادى الناس الى صراط الله المستقيم .. وهذا هو قلبى يا عبد الرحيم ..

يا عباد الله ..

هذا ما وصل الى فى وصف قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من رسول الله نفسه وأنا هناك بالأرض الطيبة بالمدينة المنورة أنعم برضاء الله وحب رسوله العظيم ..

يا عباد الله ..

قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يخالطه حقد ولا حسد فقد عاش هذا القلب بقوة كلام الله الذى نزل عليه . وكلام الله غذاء للروح والجسم ، وحياة للانسان فى الدنيا وحياة أبدية فى الآخرة ..

قلب رسول الله أبيض . فقد غمره الصفاء فأشرق به على العالم أجمع نبيا .. وغمره النور ضياء فكان به رحمة للعالمين ، وكسته السلامة فأتى الله بها دنيا وأخرى ولقى الله بقلب سليم .. ما نطق عن الهوى . كل كلامه حكمة . وكل كلامه كمال . وكل كلامه حسن . وكل كلامه جمال . وكل كلامه حق . وكل كلامه صدق . وكل كلامه رفعة . وكل كلامه رحمة . وكل كلامه معرفة . وكل كلامه نور . وكل كلامه ضياء . وكل كلامه جلال . وكل كلامه هيبة . وكل كلامه عذوبة . وكل كلامه رقة . وكل كلامه تقريب الله . وكل كلامه فصاحة . وكل كلامه خير . وكل كلامه هداية .

وكل كلامه وقار . وكل كلامه أمانة . وكل كلامه شرف . وكل كلامه غذاء للروح والقلب .. حتى كان الصحابة رضوان الله تعالى عنهم يستأنسون بصوته من بعد اذا ما غاب عنهم جسده الشريف يحسون به ريا لظمئهم ، واطمئنانا لقلوبهم وشفاء لحبهم .

انظر الى كلام الله جل شأنه فيه صلوات الله عليه وسلم :

(ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) (*)

ولكن كان القلب عكس ذلك كله ، ولأنه قلب ليس هو المخلوق به طفلا ، انه قلب بأمر من الله ليس فيه الغيظ الذى يتركب من تفاعل الدم ، وليس فيه الفظاظة التى تتولد من شدة غليان الدم فى هذا القلب . انه قلب من الله نزل عليه الروح الأمين بكلام الله العزيز الحكيم ، وانه المكان الذى حمل هذا الكلام العظيم .

انه عاش به وله ومنه ، فلا غيظ فيه ولا فظاظة ، بل بشاشة وسماحة ... ثم انظر الى قول الله تعالى (بالمؤمنين رءوف رحيم) ما قيل هذا القول فى نبى أو رسول سبقه صلى الله عليه وسلم ولا يجوز أن يوصف به مخلوق مهما بلغ قلبه من الشفقة والرأفة بالناس ، ولكن الله جل شأنه منح نبيه صفتين من صفاته (الرأفة والرحمة) (*.*)

انه القلب الأبيض الذى عاش بنور الله وبكلام الله وبقوة من الله (*)

انه القلب المنيب الذى كساه الله بالسكينة فازداد ايمانا (*)

انه القلب الذى امتحنه الله للتقوى ثم به غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر (*)

انه القلب الذى حبب الله له الايمان وزينه فيه وكره له المعاصى والتفكر فيها .

انه القلب الذى له قلب يسمع ويشهد .

انه القلب الذى منع الله عنه القسوة فأصبح لينا رقيقا لا فى

تهاون في حق الله ولا في تفريط لما ينفع أمته ويقربهم الى الله .

انه القلب الذى اذا ذكر الله وجل هذا القلب وزادته آيات الله ايمانا .

انه القلب المطمئن بأن طريق الله هو الصراط المستقيم ، وأن أحسن المعرفة معرفة الله ... وبهذا القلب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل الأخلاق العظيمة التى وصفه بها ربه الذى أرسله هاديا ومبشرا ونذيرا فقال (وانك لعلى خلق عظيم) ... وقد تحلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسكينة الباعثة على الهيبة والداعية الى التقدم مع التواضع والحلم .

وهو صلى الله عليه وسلم بهذا القلب صاحب الوجه الطلق المحيا الذى يشعرك عند لقائه بالاخلاص والوفاء والمحبة والمودة حتى انه كان صلى الله عليه وسلم أحب الى أصحابه من الأبناء والآباء ومن انفسهم .

وهو صلى الله عليه وسلم بهذا القلب قد كساه الله حسن القبول الذى يجلب ميل القلوب وطاعتها حتى لم ينفر منه معاند ولا استوحش منه مباعد الا من كتب الله عليه الشقاء وسوء الخاتمة .

وهو صلى الله عليه وسلم بهذا القلب قد مالت اليه النفوس وانقادت لأوامره الارواح وأصحابها ونبتت معه على الشدائد .

وهو صلى الله عليه وسلم بهذا القلب السليم ثبت لنا كمال خلقه وقد رزق صدق الفراسة ورجاحة العقل

وهو صلى الله عليه وسلم بهذا القلب السليم صبر فى البأساء وعلى الضراء ... ويقول عن نفسه (لقد اخفت فى الله وما يخاف أحد ، ولقد أوذيت فى الله وما يؤذى أحد ، ولقد اتت على ثلاثون من من بين يوم وليلة وما لى ولبلال طعام يأكله ذو كبد الا شىء يواريه ابط بلال).

وهو صلى الله عليه وسلم بهذا القلب السليم زهد الدنيا وما فيها وما علقت نفسه الى شيء من زخارفها حتى قيل له عليه الصلاة والسلام (ان شئت أعطيت خزائن الارض ما لم يعط احد قبلك ولا يعطاه أحد بعدك ولا ينقصك فى الآخرة شيئا) ، فقال عليه الصلاة والسلام (اجمعوها فى الآخرة) ، وفى هذا نزل قول الله تعالى (تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا) .

وهو بهذا القلب السليم أوتى صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم والسبع المثانى والقرآن العظيم والحكمة البالغة والعلوم الجمة وهو أمى لم يقرأ ولم يكتب ولم يجلس الى معلم يعلمه . وكيف يجلس وهو الذى جاءه جبريل ليقول له بأمر من ربه اقرأ وقد قرأ . وكيف يجلس الى معلم وهو الذى انشرح صدره بقلب يغذيه كلام الله العزيز الحكيم . وهو صلى الله عليه وسلم بهذا القلب صاحب الذهن الصحيح والصدر الفسيح واللسان الفصيح المحفوظ من التحريف فى قول أو معنى . وهو الذى كان قبل الرسالة بهذا القلب (الأمين) قلبا وقالبا . وبعد الرسالة أمينا بهذا القلب وبالنبوة خيرا نيرا .

وهو صلى الله عليه وسلم كان بهذا القلب السليم الموجز فى القول مع حسن فى القول مع حسن فى التعبير . وانظروا الى بعض أقواله صلى الله عليه وسلم قال (اللهم انى اعوذ بك من علم لا ينفع ونفس لا تشبع وقلب لا يخشع وعين لا تدمع . هل يطمع احدكم الا غنى مطغيا او فقيرا منسيا او وهنا مفسدا أو هرما مفندا أو الدجال فهو شر غائب ينتظر او الساعة فالساعة ادهى وأمر) . وقوله صلى الله عليه وسلم تقبلوا الى بست اتقبل لكم بالجنة ! قالوا وما هى يا رسول الله . قال (اذا حدث احدكم فلا يكذب . واذا وعد فلا يخلف . واذا أؤتمن فلا يخن . غضوا ابصاركم . واحفظوا فروجكم . وكفوا أيديكم) .

وانه صلى الله عليه وسلم كان بهذا القلب السليم لا يعرف الجبن ، بل كانت الشجاعة تزينه صارما للاخذ بحق الله من كل مخلوق ، وحق الضعيف من القوى . وقد حمل راية الجهاد وما أنزلها من يده حتى تم كل شيء ونزل قول الله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) ...

يا سيدى يا رسول الله يا صاحب القلب السليم والذى عشت به فى هذه الحياة الدنيا فنبع منك الخير كله والحسن والكمال كله والجمال كله ولقيت ربك به لتكون الشفيع لامتك يوم نلقاك عند رب عزيز كريم رءوف رحيم .

يا سيدى يا رسول الله . سل الله لنا ان يصلح فساد قلوبنا وان يصحح عقيدتنا ويهيىء لنا من أمرنا رشدا .

يا امة رسول الله . اكثروا من الاستغفار فى هذه الأيام الاخيرة من رمضان وهو يودعكم عسى الله ان يغير حالنا الى أحسن حال يرضيه ويرضى رسوله صلى الله عليه وسلم . ثم تقربوا الى الله بالعمل الصالح وتلاوة القرآن وتفهم معناه والعمل بآياته وأحكامه ثم تدارسوا سنة رسوله الكريم واعملوا بما ورد فيها لتكونوا من الفائزين . أسأل الله ان يستجيب لنا وغدا ان شاء الله نتكلم فى (الصدقة والحسنة والزكاة) .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

* * *

و .. مع ذلك ..

و .. رغم هذه النماذج الرائعة .. التى تحـــدد لنا فلسفة وآراء سيدى عبد الرحيم .. ودعوته الخالصة الصادقة الى العمل .. والى العلم .. والى الأخلاق .. وتبين لنا أيضا وفى وضوح مدرسته . فان الحقيقة التى لا جدال فيها .. ان معارف ودروس القنائى لم تصل الينا .. وان الذى وصلنا لايساوى دروس عام من حياته المباركة حوته بعض الكتب كالأصفياء وبعض الطبقات ..

وليت شعرى .. ما الذى كان يمكن أن يضاف الى المكتبة الاسلامية .. فيما لو بقى بين أيدينا كل ما قاله الشيخ القنائى .. وماذا كان يمكن أن تكون عليه مدرسته الفكرية ..

انه لشىء كثير ..

وانه لشىء مبارك ..

ولكن تلك ارادة الله ..

مع شيوخ عصره

والشيء الذى يكاد اجماع المؤرخين ان يتفق عليه .. هو أن الشيخ عبد الرحيم القنائى قد استطاع بفضل الله ان يحقق الهدف الذى من أجله اتخذ قنا مقرا لجهاده فى سبيل الله .. والوقوف ضد الدعوات التبشيرية .. وأنه أضاف الى مراكز العلم فى الصعيد مركزا جديدا تتطهر الأرض من حوله .. وتشع منه الدعوة الى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .. وانه خلال عشر سنوات استطاع أن يربى مدرسة تنشر العلم المحمدى فى كل بلاد قنا وما بعدها وما قبلها من المحافظات فتعيد الى الأذهان ذكرى الرعيل الأول من حملة العلم المحمدى ..ويجددون اسلاميات المسلمين فى الصعيد .. ويثيرون الحماس لديهم .. ويحركون النخوة عند الرجال حتى ضاقت الأرض على المبشرين المسيحيين الذين استغلوا جغرافية بلاد الصعيد .. وبعد مدنها الواحدة عن الأخرى ... وصعوبة الاتصال بينها .. وانقطاع الصلة العلمية بين بلاد الصعيد ومراكز الثقافة .. وعاصمة البلاد ذاتها .. بل وظروف بلاد الصعيد الاجتماعية .. التى أثارت الخلافات بين اهالى البلاد بعضهم مع بعض .. استغل المبشرون المسيحيون كل هذه الظروف فراحوا يزرعون الجهل بالاسلام .. وما هو أكثر من ذلك .. حتى انهم استولوا على مناطق واسعة .. وبلاد بأكملها واكسبوها الطابع المسيحى ...

وفى هذا المجال والمكان كان جهاد سيدى عبد الرحيم ...

وبفضل علومه واخلاص تلاميذه .. انحسرت دعوة المبشرين من هذه المناطق .. ولم يعد لدعاة غير الاسلام مكان بين أبناء الصعيد جميعا كهذا الذى حدث فى مدينة كالأقصر مثلا عندما

استطاع الشيخ ابو الحجاج الأقصرى ـ أقرب تلاميذ القنائى رضى الله عنهما أن يعيدها الى المجتمع الاسلامى بعد أن انسلخت عنه تماما لبضع سنين (١) .

ويذكر لنا المؤرخون عددا كبيرا من الذين تلقوا العلم على يد سيدى عبد الرحيم ولازموه كثيرا من الوقت وحضروا عددا كبيرا من دروسه .. وانتشروا فى أرض الصعيد وفى كل مكان ينشرون العلم المحمدى .. ويلقون الدروس الاسلامية .. ويعمرون مساجد الله ومن هؤلاء المباركين يونس بن عيسى بن جعفر الهاشمى الأرمنتى وعبد الرحمن بن موسى الكندى الدشناوى وعبد الرحمن بن ابراهيم الشنهورى وطلحة بن محمد بن على بن مطيع القشيرى وحمزة ابن محمد بن هيبة الله الاسقونى وعبد الرحيم بن الحسن بن فخر الصائغ القوصى وعبد الرحيم بن على بن الحسين بن شيتة وعبد الرحمن بن محمد بن عبد العزيز ابو القاسم القوصى وعبد الله ابن عبد الله بن ثابت الشنهورى وصالح بن غازى الانماطى النحوى الشهير وخادم الصالحين وصالح بن ظافر بن مخلوف بن أبى القاسم بن مخلوف الانصارى وسليمان بن نجاح بن عبد الله أبو الربيع القوصى ويوسف بن محمد بن على القاسمى يكنى ابا الحجاج ويعرف بالمغاورى والسيد يوسف أبو الحجاج الأقصرى وعبد الله القرشى وأبو الحسن الصباغ والحسن بن السيد عبد الرحيم وكمال الدين وجمال الدين ومحمود أبو نور أبناء الشيخ وابن شافع القنائى وابن الحلاوى وابن الجزامى .

وبقى سؤال ...

يشغل تفكير كثير من المهتمين بقضايا التصوف وتاريخهم .. وهو .. هل كان هناك اتصال بين القنائى والسيد

---

(١) راجع كتابنا السيدة نفيسة

البدوى رضى الله عنهما .. وكلاهما .. كان يؤدى نفس الرسالة تقريبا وأن اختلفت مواقع الدعوة والعمل الاسلامى ..

القنائى فى الصعيد .. وفى منطقة قنا .. حيث انتشر التبشير المسيحى ..

والبدوى فى الوجه البحرى .. وفى مدينة طنطا .. حيث كادت المسيحية تحولها الى منطقة نفوذ مغلقة ..

وكلاهما أيضا .. ولد فى المغرب ..

ان هناك رواية تقول ان السيد البدوى تبادل مع الشيخ القنائى الرسائل .. بل وزاره فى قنا .. وهى موجـــودة فى بعض الكتب القديمة التى تؤرخ للسيد البدوى .. بل أن بعض محبى السيد البدوى ورجال طرقه يتناقلونها الى اليوم فى مجالسهم وسمعتها من كبار المتعلمين منهم .. وأصروا عليها ..

ولكن ..

هذه الرواية ينقصها الكثير من الواقع التاريخى ..

فمن المؤكد اتفاق هدف القطبين العظيمين .. وخطى حياتهما المباركة ..

ومن المؤكد أيضا .. ان الاثنين لم يلتقيا ابدا .. ولم يكتب احدهما للآخر ..

فالشيخ القنائى رضى الله عنه توفى عام ٥٩٢ هـ ..

بينما السيد البدوى رضى الله عنه ولد عام ٥٩٦ هـ ..

ووصل مصر عام ٦٣٥ هـ ..

اى ان القنائى توفى قبل مولد البدوى بأربع سنوات .. والذى يمكن أن يكون صحيحا .. هو أن يكون ذكر سيدى عبد الرحيم

وهذا مالا شك فيه قد علم به سيدى أحمد البدوى عندما كان بالحجاز اذ أقام به من عام ٦٠٨ هـ الى ٦٣٥ .. ولم يكن العهد قد طال على وفاة سيدى عبد الرحيم ..

وبالتالى يمكن أن يكون صحيحا أيضا .. أن سيدى أحمد البدوى .. قد زار ضريح سيدى عبد الرحيم فى طريقه من الحجاز الى طنطا فلعله يكون قد اتخذ طريق قوص ممرا بين الاثنين ولأننا حتى الآن لا نعرف الطريق الذى سلكه السيد البدوى ما بين مكة وطنطا .. لأن المؤرخين يقفون بنا عند قراره السفر الى مصر .. وظهوره فجأة فى طنطا وننسى ازاء علومه الفياضة ، ووسط بركاته معرفة أى طريق سلك .

ونحن نميل الى أن سيدى أحمد البدوى قد زار ضريح سيدى عبد الرحيم .. بل وأقام هنـــاك فترة من الوقت استنادا الى معتقدين .. الأول .. أن طريق قوص كان دائما طريق الأئمـــة والمتصوفة .. والعلماء فى ذهابهم وعودتهم الى الحجاز .. سواء منهم من كان فى مصر أو قادما اليها ..

والثانى ان السيد البدوى قد طوف ببلاد العراق يزور أولياءه ويتعرف على مدارسة الصوفية .. قبل مقدمه الى مصر .. ولذا فمن المؤكد انه فكر فى زيارة ولى مغربى .. عربى .. علوى مثله .. كسيدى عبد الرحيم قبل أن يستقر به المقام فى مدينة طنطا ..

و .. هذه عادة من عادات الأقطاب فى أن يزوروا الأولياء .. ويعيشوا أياما فى أجواء مدارسهم .. ويسترجعون ذكرياتهم .

مُؤلفات .. وكرامات .. وأُدعية

— ١ —

وقد عاش السيد عبد الرحيم حياة مباركة خلد لنا فيها من كتاباته الكثير .. ومنها :

— تفسير للقرآن الكريم ..

— ورسالة فى الزواج ..

— واحزاب واوردة ..

— وكتاب الأصفياء ..

— وكلمات كثيرة نشرت فى طبقات الشعرانى .. وطبقات السبكى وطبقات المناوى ..

— ٢ —

والحديث عن كرامات السيد عبد الرحيم كثيرة نذكر بعض القديم منها والجديد أيضا ..

فمن التاريخ يروى ..

١ — عن سيدى كمال الدين نزيل اخميم يقول « زرت جبانة قنا وجلست عند قبر سيدى عبد الرحيم ، واذا يد خرجت لى من قبره وصافحتنى ، وقال لى يا بنى لا تعصى الله طرفة عين ، أنا فى اعلى عليين واقول يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله ».

٢ — وعن سيدى ابن دقيق العيد قال « زرت جبانة قنا وقت الظهر وجلست عند قبر سيدى عبد الرحيم ولم يكن ثم

غيرى ، واذ بأنوار خرجت من قبر سيدى عبد الرحيم ، وانوار خرجت من قبر أبى الحسن الصباغ حتى توارى عنى نور الشمس لشدة ضياء تلك الأنوار ، وسمعت قائلا من قبر سيدى عبد الرحيم يقول « الله نور السموات والأرض » وسمعت قائلا من قبر الشيخ أبى الحسن الصباغ يقول « نور على نور » .

٣ ـ وروى انه لما مات سيدى عبد الرحيم رؤى بعض المشايخ يقوم ويقعد ، ويدخل ويخرج ، ويظهر عليه الانزعاج فسئل عن ذلك فقال « مات ببلاد المشرق رجل منفرد فى قطره أسمه عبد الرحيم ولو مكثت جثته ثلاثة أيام لكان كل من رآه نطق بالحكمة » .

٤ ـ كان سيدى عبد الرحيم عندما يسمع المؤذن يقول « أشهد الا اله الا الله يقول ... « شهدنا بما شاهدنا » فسئل اى شيء شاهدت فيرد « شهدت مقام الوحدانية » .

ومن الجديد .. المستمر ما يذكره لى الأستاذ أحمد حسين صبره رئيس جمعية الشبان المسلمين بمحافظة قنا ...

قال ...

حدثنى السيد المهندس عبد الحميد داود الذى كان مفتشا لرى قنا فى سنة ١٩٤٧ وقد زرته ومعى الاستاذ عبد الوهاب الحناوى المحامى وعضو جمعية الشبان المسلمين فى ذلك الوقت لأمر يتعلق بالجمعية ـ قال سيادته كنت ممن لا يعترفون بكرامات الأولياء وحدث ان نقلت الى قنا مفضوبا على سنة ١٩٢٣ فأقمت فى عمارة السحت أبى عبيد مع احد أصدقائى وكان مأمورا لمركز قنا وبعد فترة من الزمن طلب الى ذلك الصديق ان نذهب سويا لزيارة سيدى عبد الرحيم لندعو الله هنالك لعله يستجيب الدعاء فننقل من قنا ـ فرفضت وتطاولت على مقام السيد ولكن مأمور المركز

صمم على زيارة القطب وبعد فترة وجيزة صدر قرار بنقله الى جهة كان يرغب النقل اليها فلما اخبرني بذلك قلت له : يا أخى اعقل هو يعنى السيد عبد الرحيم أصبح وزيرا للداخلية واشر على ملفك بالنقل ـ يا أخى صلى وصوم واعبد الله تبقى احسن من السيد عبد الرحيم وزدت فى تطاولى على مقام السيد لاقصى حد ممكن ـ وفى هذه الليلة جائنى شخص فى المنام وقال لى بكرة تزور السيد تجد واحد فى المقام أعطه عشرة قروش وانتهت الشغلة) فقمت من نومى متذكرا ما رأيته فى نومى وتوجهت الى مسجد سيدى عبد الرحيم وصليت ركعتين فى المسجد ثم دخلت المقام فاذا بى أجد نفس الشخص الذى رأيته مناما رايته صحوة وفاجأنى هذا الشخص وقال لى (انت اللى رايح تدفع العشرة قروش قلت نعم ثم دفعت له العشرة قروش وخرجت من المقام فى حالة روحية عالية جدا وتوجهت الى نجع حمادى فى مأمورية عاجلة وعدت منها بعد ثلاثة أيام لأجد ثلاثة خطابات تهنئة بالنقل ـ وقال سيادته منذ ذلك التاريخ وانا أؤمن بكرامة الأوليـاء عموما وكرامة سيـدى عبد الرحيم خصوصا ـ وصدق الله العظيم اذ قال (الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم) .

وكرامة أخرى ..

حدثنى عنها فضيلة الشيخ على محمد شاكر عندما كان رئيسا لمحكمة قنا الشرعية ـ قال لى لما عينت موظفا قضائيا بمحكمة قنا الشرعية سـنة ١٩١٧ وكان والدى فى ذلك الوقت وكيلا للأزهر الشريف وقد أوصانى بأن ألوذ بمقام قطب قنا فكنت اقضى معظم وقتى به ـ وحدث ان صدر قرار وزير الحقانية بنقلى الى القاهرة فاخذت أجرد القضايا لتسليمها لأحد زملائى واذ بى أجد قضية فاقدة فبحثت عنها كثيرا ولكن دون جدوى فتوجهت الى مقام

الضريح واقول يا سيدى عبد الرحيم انا ضيفك وازاى ما تكرمش ضيفك والقضية ضاعت منى ورددت ذلك مرارا ثم عدت لمنزلى ونمت وقبل الفجر جائنى شخص فى المنام واخبرنى ان القضية أرسلت لجهة ما وذكر لى تاريخ ورقم ارسالها فاستيقظت فزعا ودونت ما سمعته على علبة السجائر التى كانت تحت الوسادة ثم بارحت المنزل فورا الى المحكمة الشرعية فلما رآنى خفير المحكمة قال لى (خبر ايه يا مولانا حصل لك شيء فى عقلك) ولكنى نهرته ودخلت قلم الحفظ (الدفترخانة) واطلعت على دفتر الصادر فاذا بى أجد تلك المعلومات صحيحة فسررت كثيرا وبارحت قنا الى القاهرة شاكرا ذاكرا أفضال سيدى عبد الرحيم ..

* * *

واشهد انى شخصيا قد رأيت من كرامات الشيخ رضى الله عنه الكثير .. ولكن لا أظن ان ذكرها قد حان وقته ..

— ٣ —

وقبل ان نذكر الورد اليومى .. الذى توارثه تلاميذ ومحبو سيدى عبد الرحيم الى يومنا هذا .. أعود فأنقل هنا واحدا آخر من دروس القنائى رضى الله عنه .. وكان فيه يعلم تلاميذه بعض الأدعية التى يوصى بها .. وكان ذلك أيضا فى رمضان .. من عام ٥٨٧ هـ ..

وقد بدأ الشيخ عبد الرحيم درسه فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما قدره الله ووصل الينا من نعم وأرزاق وأقوات وايمان وأعظم خير وصل الينا هى رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فلو لم يكن غيرها لكفى العالمين هذا الخير لانه هو ورسالته بخير كله وبعد :

تعلمون الدعاء المتواتر والذى سبق ان ذكرته لكم وكلكم

تحفظونه وهو (اللهم ارزقنى علم الحياة . وحياة العلم . وامنحنى نعيم الحياة . وحياة النعيم . واغمرنى بفضل من النور ونور من الفضل . واعطنى قوة الابدان . وابدان القوة . واسألك نعمة الشفاء ، وشفاء النعمة . واسألك طول العمر ياذا الطول والانعام واحسن الى يا عظيم الاحسان وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم) .

رددوا هذا الدعاء فى هذه الليلة فان فيه خير وبركة واستجابة وقد استفاض الله على من داوم عليه منكم بخير ونورانية وقبول وأنتم تشهدون بذلك ..

ثم نظر الشيخ الى واحد من تلاميذه وقال (تكلم يا صباغ) .. وبعدها استمر فى حديثه فقال .. والله لقد دخل أبو الحسن الصباغ القوصى من باب ما دخلنا منه بفضل من الله وببركة هذا الدعاء .

وعليكم ان تذكروا هذا الدعاء عقب كل صلاة مكتوبة وهو بسم الله الرحمن الرحيم : يا من لا يشغله سمع عن سمع ويا من لا تغلطه المسائل ويا من لا يتبرم من الحاح الملحين أذقنى برد عفوك وحلاوة مغفرتك .

وارجو الا يذكر هذا الدعاء الا والانسان منكم على وضوء .

وهذا دعاء آخر أرجو ان يواظب عليه من يستطيع منكم فى السحر ويتلى احدى عشرة مرة مع صلاة ركعتين قبله وركعتين بعده تنفلا وهذا هو :

بسم الله الرحمن الرحيم . اللهم انى اسألك قناعة تغنينى وتوكلا يكفينى ويقينا يشفينى . وورعا يحجزنى وهدى يرشدنى وتوفيقا يسعدنى وعلما أعمل به وعملا أخلص فيه واخلاصا أدوم عليه وارزقنى حلالا واطعمنى طيبة واجعلنى تقيا واحينى مؤمنا وامتنى مسلما وابعثنى آمنا واحشرنى سالما مع الذين انعمت عليهم

من النبيين والصالحين والشهداء وحسن أولئك رفيقا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

دعاء آخر ..

يتلى سبع مرات ويجب الوقوف قليلا بين كل كلمة (اللهم) وما بعدها ويتلى الدعاء بتأن وبصوت مسموع للداعى مع استحضار عظمة الله فى قلوبكم مع الوضوء وصلاة أربع ركعات قبله وركعتان بعده تنفلا ، وفى خلوة وفى اى وقت من الليل وهذا هو الدعاء .

بسم الله الرحمن الرحيم .. استغفر الله العظيم (ثلاثا) اللهم (سبعا)بحق السموات ومن فيهن (اللهم) (سبعا) بحق الأرضين السبع ومن فيهن (اللهم) (ثلاثا) بحق العرش والكرسى والقلم .. (اللهم) (ثلاثا) بحق موسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم جميعا .. (اللهم) (ثلاثا) بحق وجهك الكريم وعلمك القديم ورحمتك بالمؤمنين والملائكة والمقربين أحطنا ببسم الله الرحمن الرحيم . وادركنا عند الزلل بطسم وانتشلنا عند الغرق بحم وافتح علينا بابا من الرزق والخير فى الصحة والمال والذرية والأخلاق والأدب والايمان بحق جاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم دليل الخلق اليك يارب العالمين .

اللهم اللهم اللهم استجب يا أرحم الراحمين فانك تعلم انى أطرق باب رحمتك . ياسيدى يارسول الله سلام الله عليك ياسيدى يا رسول الله صلاة الله عليك وعلى آلك وصحبتك ومن اتبعك من المؤمنين آمين (انتهى) .

أما أولئك الذين لا يقرأون ولا يستطيعون الحفظ فعليهم أن يقولوا بعد صلاة ركعتين تنفلا .

يا رب اللهم أكرمنى بحق لا اله الا الله محمد رسول الله أنها ستزى اليك فتقبلها منى واعنى بها على شئون هذه الحياة وانك على كل شىء قدير (انتهى) .

وعلى اخوانهم الذين يحفظون الادعية ان يشملوا فى دعائهم كافة المسلمين فأن ذلك يزيد فى الحسنات وربما يكرم الداعى لواحد منهم فيستجاب له .

— ٤ —

و .. حزب الشيخ ..

وهذا الذى يدعو به اتباعه ربنا تبارك وتعالى كل يوم

بسم الله الرحمن الرحيم

« قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد » (ثلاثا) .

بسم الله الرحمن الرحيم

« قل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب ومن شر النفاثات فى العقد ومن شر حاسد اذا حسد » .

بسم الله الرحمن الرحيم

« قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس » .

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » .

بسم الله الرحمن الرحيم

« الم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ولا يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما انزل

اليك وما انزل من قبل وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم . الله لا اله الا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له مافى السموات ومافى الأرض من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه يعلم مابين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم . لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات اولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . الم الله لا اله الا هو الحى القيوم هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة أولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شىء قدير تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب . الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا . ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شىء فاعبدوه وهو على كل شىء وكيل لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير اتبع ما أوحى اليك من ربك لا اله الا هو واعرض عن المشركين قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا اله الا هو يحى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون فان تولوا فقل حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم (٥) حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من

المسلمين . فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما أنزل بعلم الله وأن لا اله الا هو فهل أنتم مسلمون قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب أن انذروا انه لا اله الا انا فاتقون وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى الله لا اله الا هو له الأسماء الحسنى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدوني وأقم الصلاة لذكري انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات الا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين . فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم الله لا اله الا هو رب العرش العظيم وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا اله الا هو فأنى تؤفكون ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فأنى تصرفون . غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو فأنى تؤفكون هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين رب السموات والأرض وما بينهما أن كنتم موقنين لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين وللمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم هو الله لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون رب المشرق والمغرب لا اله الا هو

فاتخذوه وكيلا آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل
آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا
سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير لا يكلف الله نفسا الا
وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا
أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا
ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت
مولانا فانصرنا على القوم الكافرين سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (ثلاثا)
عدد ما علم وزنة ما علم وملء ما علم سبحان الله والحمد لله ولا اله
الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم عدد خلقه
وزنة عرشه ورضاء نفسه ومداد كلماته سبحان الله وبحمده منتهى
علمه سبحان الله ذلك التسبيح الذى سبحه لنفسه سبحان الله
دائما فى ديمومته سبحان الله تسبيحا يعلو تسبيح المسبحين
ويفضل على تسبيحهم لفضالله على جميع خلقه الحمد لله بجميع
محامده كلها على جميع نعمائه كلها على جميع خلقه الحمد لله
حمدا يوافى نعمه ويكافىء مزيده الحمد لله كما ينبغى لكم وجه ربه
وعز جلاله ونور كبريائه الحمد لله ذلك الحمد الذى حمده لنفسه
الحمد لله حمدا يفضل على حمد كل حامد كفضله على جميع خلقه
اللهم أنت الواحد الأحد الفرد الصمد وأنت الحى القيوم القديم
الدائم الأبدى وأنت المليك القدير القادر وأنت العلى العالى الأعلى
الرحمن الرحيم الشكور العفو الغفور الودود التواب اللهم انت الأول
فلا شىء قبلك وأنت الآخر فلا شىء بعدك وأنت الظاهر فلا شىء
فوقك وأنت الباطن فلا شىء دونك اللهم انى أستغفرك فانك أنت
الله الذى لا اله الا انت الحى القيوم غفار الذنوب وأتوب اليه اللهم
انى أعوذ بك أن اشرك بك وأنا أعلم اعوذ بكلمات الله التامات من
شر ما خلق ومن شر نفسى وما فيها الحمد لله الذى عافانى مما
ابتلى به غيرى وفضلنى على كثير ممن خلق تفضيلا الحمد لله الذى

حمد نفسه اللهم آت سيدنا محمد الوسيلة والفضيلة والدرجة
الرفيعة وابعثه المقام المحمود الذى وعدته يا أرحم الراحمين اللهم
صل على سيدنا محمد بعدد من صلى من خلقك وصل على سيدنا
محمد بعدد من لم يصل عليه من خلقك وصل على سيدنا محمد
كما ينبغي لنا أن نصلى عليه وصل على سيدنا محمد كما أمرتنا أن
نصلى عليه وصل على سيدنا محمد صلاة زاكية تبلغه الدرجة
والوسيلة وصل على سيدنا محمد كلما ذكره أحد من خلقك وحيث
ما ذكر اللهم سلم على سيدنا محمد سلامك الذى سلمته عليه
اللهم صل على ملائكتك المقربين وعلى أنبيائك المرسلين وعلى عبادك
الصالحين من أهل السموات والأرضين اللهم اغفر للمؤمنين
والمؤمنات والمسلمين والمسلمات اللهم نسألك يا رحمن يا رحيم
يا ملك يا قدوس يا سلام يا مؤمن يا مهيمن يا عزيز يا جبار
يا متكبر يا خالق يا بارىء يا مصور يا عفو يا غفور يا شكور
يا ودود يا على يا عظيم يا حليم يا حكيم يا كريم يا لطيف يا خبير
يا سميع يا بصير يا كبير يا متعال يا مولاى يا نصير يا بر يا أول
يا آخر يا ظاهر يا باطن يا والى يا قابض يا باسط يا رازق
يا قائم يا دائم يا واسع يا شاكر يا صادق يا خافض يا قاهر
يا واحد يا أحد يا فرد يا صمد يا غنى يا على يا ولى يا قوى
يا جواد يا قريب يا مجيب يا حسيب يا مغيث يا محى
يا مميت يا مبدىء يا معيد يا حميد يا مجيد يا حى ياقيوم
يا وهاب يا فتاح يا فعال يا كافى يا هادى يا والى يا باقى
يا حفيظ يا شديد يا بديع يا رفيع يا باعث يا وارث يا وكيل
يا جليل يا الله ـ اللهم اعف عنا واغفر لنا وارحمنا وعافنا واهدنا
واسترنا واجبرنا وانصرنا وارزقنا خيرى الدنيا والآخرة واصرف
عنا شر ما فى الدنيا وشر ما فى الآخرة اللهم خذنا من انفسنا اليك
وأحى قلوبنا بذكرك وارزقنا الثبات على طاعتك بين يديك وافتح
لنا طريقا اليك بسم الله على دينى بسم الله على نفسى بسم الله

على أهلى ومالى وأولادى وعلى كل شيء أعطانيه ربى بسم الله خير الأسماء بسم الله لا يضر مع اسمه شيء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم بسم الله استفتحت وعلى الله توكلت ربى ولا أشرك به شيئا اللهم انى أسألك لى ولهم بخيرك من خيرك الذى لا يعطيه غيرك ولا يملكه سواك أنت ربى عز جاهك وجل ثناؤك وتقدست أسماؤك ولا اله غيرك اللهم اجعلنى واياهم فى عياذك من شر كل ذى شر ومن شر الشيطان الرجيم اللهم نسألك حراثتهم واجارتهم ان ربى على صراط مستقيم وأقدم بين يدى وأيديهم وعن يمينى وعن أيمانهم وعن شمالى وعن شمائلهم ومن فوقى ومن فوقهم ومن تحتى ومن تحتهم ومن خلفى ومن خلفهم قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

* * *

وأخيرا فان سيدى عبد الرحيم كان يعبر عن فلسفته فى دعاء يحرص عليه ويداوم عليه ما بين الفجر وصلاة الصبح .. وما بين ركعتى الشفع وركعة الوتر يقول فيه « بسم الله الرحمن الرحيم اللهم أرزقنى علم الحياة . وحياة العلم . وامنحنى نعيم الحياة وحياة النعيم . واغمرنى بفضل من النور ونور من الفضل . وأعطنى قوة الأبدان وابدان القوة . وأسألك نعمة الشفاء وشفاء النعمة . وأسألك طول العمر . يا ذا الطول والانعام . وأحسن الى يا عظيم الاحسان . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم » .

وفاته.. وأدب زيارته

وفى يوم الجمعة ١٩ صفر عام ٥٩٢ هـ ١١٩٦ م . وبعد أن ادى سيدى عبد الرحيم صلاة الفجر .. حم قضاء الله .. وانتهى الأجل .. وتوفى سيدى عبد الرحيم بعد أن بلغ من العمر ٧١ سنة هجرية .

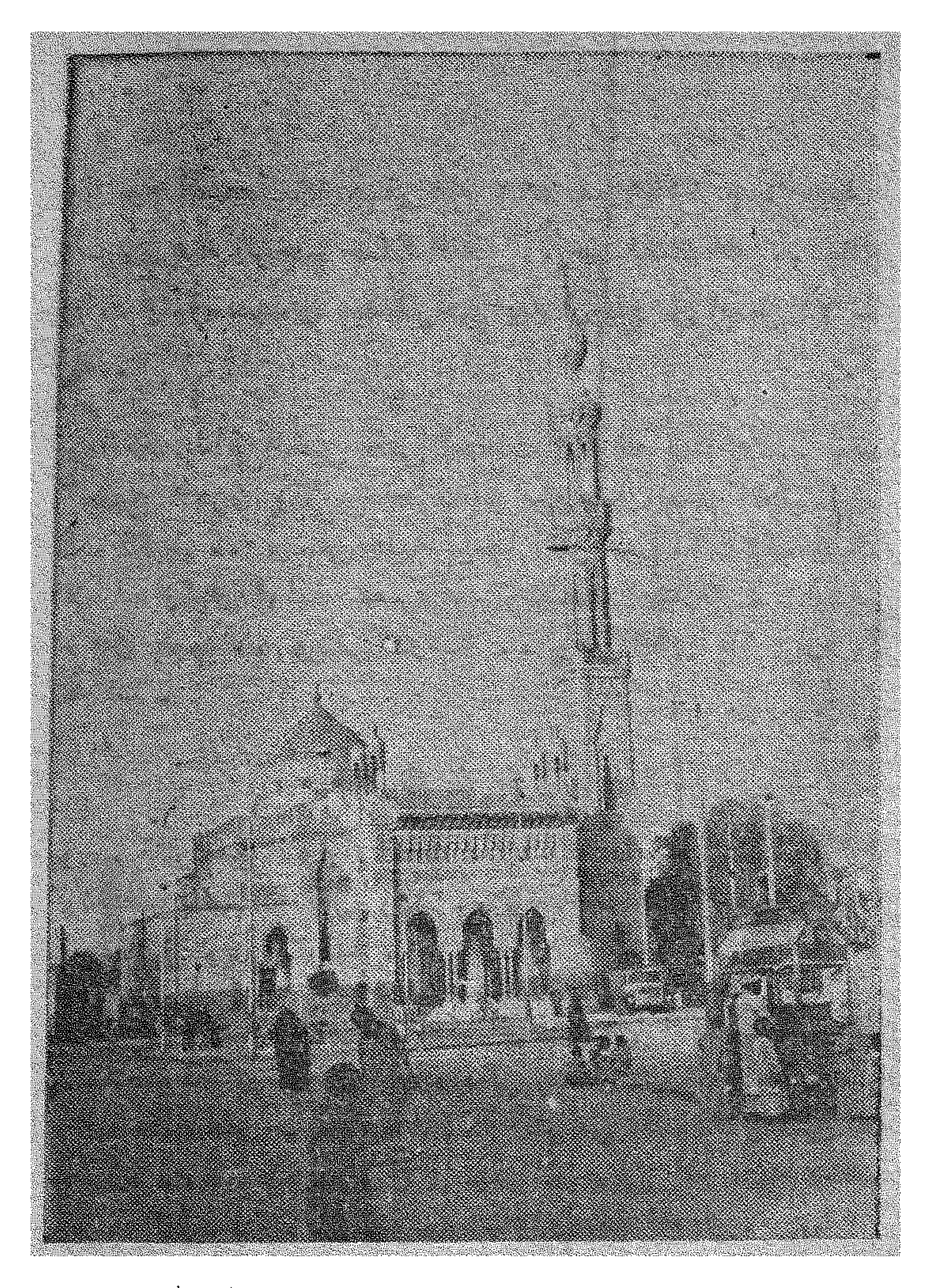
وما كاد يذاع الخبر حتى احاطت الألوف بمنزله .. وقد عم الجميع الحزن والأسى لحرمانهم من هذا العالم الجليل .. والقطب الكبير .. وصلى عليه يومها أكثر من ١٠ آلاف شخص من تلاميذه وكبار أولياء عصره .. وشيعت جنازته .. ودفن حيث كان يقيم .. ويلقى درسه .. وهو الذى به مزاره الآن بمدينة قنا .

* * *

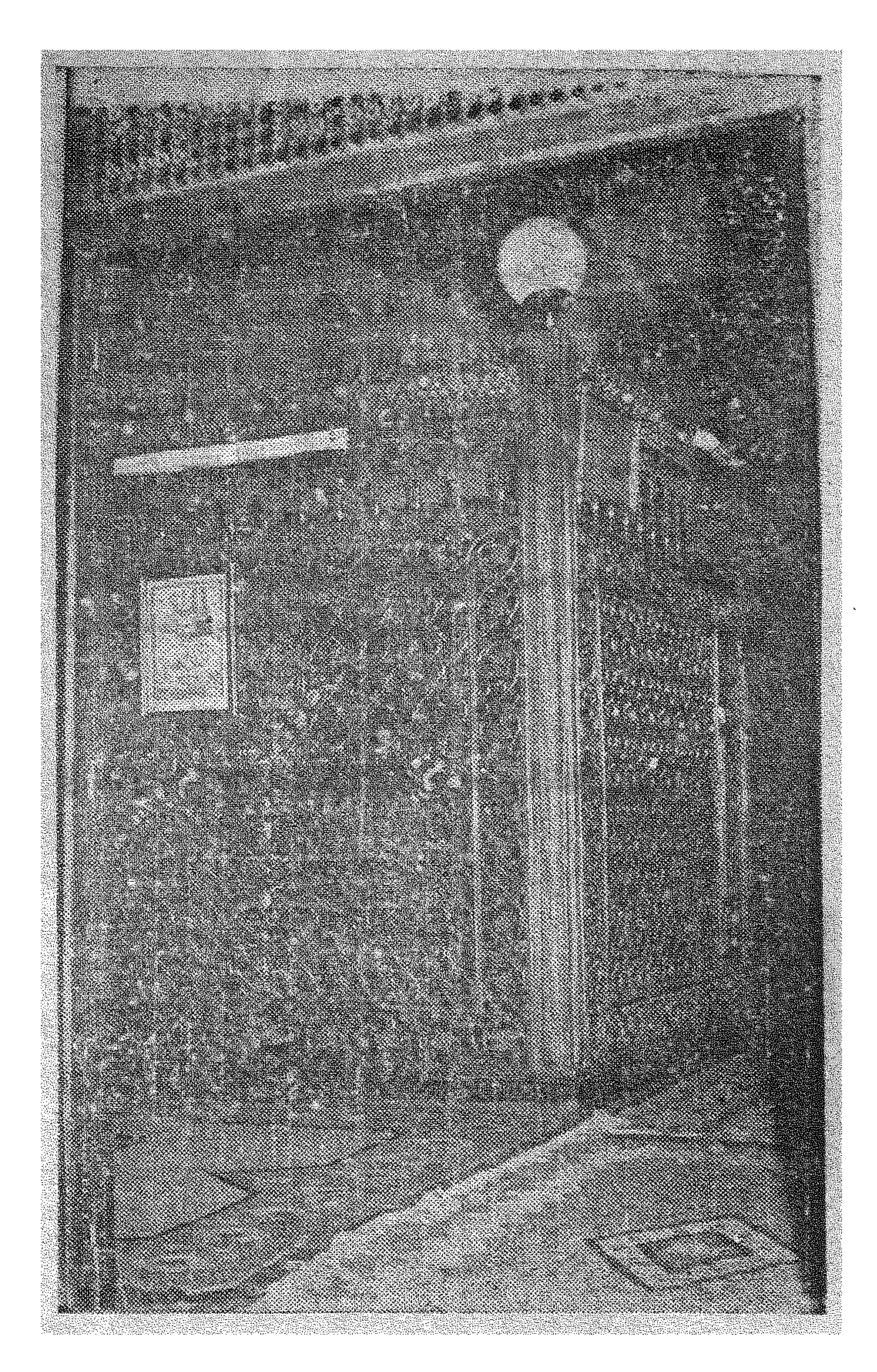
و .. لكثير من الأولياء آداب تعارف عليها محبوهم فى زيارتهم .. وتختلف بالنسبة لكل ولى .. ويحافظ عليها جمع كثير من الناس .. بل ويتوارثونها .

وضريح ومسجد سيدى عبد الرحيم من الأماكن التى تكون توكيد المتصوفة أن الله تبارك وتعالى يتقبل فيها الدعاء ايمانا منهم أنها مكان علم حفت بها الملائكة أكثر من خمسة وثلاثين عاما ليلا ونهارا .. مصداقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وجلسة العلم تحفها الملائكة وتغشاها رحمة الله » .

و .. ان المقام .. مقام واحد من أكابر الأولياء وأصدقهم فى عصره وما بعد زمانه .



مسجد سيدى عبد الرحيم وساحته التى لا يوجد فيها موضع لقدم
فى المولد السنوى للسيد ..



المقصورة التى تضم رفات سيدى عبد الرحيم بقنا

والمتصوفة يؤكدون أيضا أن انسب يوم لزيارة سيدى عبد الرحيم هو يوم الأربعاء .. وأن يكون ذلك وقت الظهيرة وأن يكشف الانسان رأسه ، ويدعو ربه بما يشاء ويستجاب له باذن الله .

.. وتفرج كرباته وتقضى حوائجه حتى أنه لينسب للشيخ أبى عبد الله القرشي أن أدب زيارة سيدى عبد الرحيم هو .. « أن تصلى ركعتين لله تبارك وتعالى وتقرأ ما تيسر من القرآن الكريم بعدهما .. ثم تقول اللهم .. انى أتوسل اليك بجاه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وبأبينا آدم وبأمنا حواء وما تناسل بينهما من الأنبياء والمرسلين وبعبدك عبد الرحيم اقض لى حاجتى ويذكر حاجته .. » .

ويقول الشيخ أبو عبد الله القرشي .. من فعل ذلك ولم يقض الله له حاجته فليسب القرشي .

* * *

و... رضى عن سيدى عبد الرحيم القنائى .

المراجـع

- الطبقات	الامام الشعرانى
- كتاب الأصفياء	الامام عبد الرحيم القنائى
- الطالع السعيد فى علماء الصعيد الشيخ الأدفوي
- مناقب القطب الغوث عبدالرحيم القنائى	مطبعة صادق ـ المنيا
- اعداد مجلة منبر الاسلام	عام ١٩٦٩
- سيدى عبد الرحيم القنائى	مدرسة التجارة الثانوية ـ قنا
- السيد احمد البدوى	الشيخ احمد حجاب

فهرس

رقم الايداع ــ ٥٨٥١ / ١٩٧٠

دار الشعب
٩٢ شارع قصر العيني - القاهرة ت: ٢١٨٩٠

اسم الكتاب	السيد عبد الرحمن القناعى
اسم المؤلف	صلاح عزام
رقم اليومية	١٣٥٦

نرجو القارئ تصحيح هذه الأخطاء المطبعية

رقم الصحيفة	رقم السطر	الخطأ	الصواب
١٠	٦	المقبولون	المقبولين
٤١	١١	شرائه	شراك
٤٥	٨	الكلبة	الكلب
٧٣	٥	افتحت	افتحنا
٧٣	٧	الشراب	شراب
٨١	٤	وراحته	وراحة الروح
١٠٧	٦	المنجيين	المنبجسين
١١٠	١٢	الرحيل	الرحالة
١٢٧	٥	هذا الأحكام	هذه الأحكام
١٥٩	٩	امبراطورية التاريخ	امبراطورية أهملها التاريخ

وهناك أخطاء أخرى لا أهمية لها تجاوزنا عنها لوضوحها للقارئ

الثمن ١٥ قرشا





١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م